

مهمة الدين الاسلامي في العالم

- ٣ -

الدعوة الى العلم

أبنا في مقالاتنا السابقة ما قام عليه الاسلام من الأصول العليا التي توجب له السلطان المطلق على العقول والقلوب معا ، وتصوغ من متبعيه أمة تكون لها زعامة الأرض قاطبة . ونبين اليوم هنا أنه لم يحرم هذه الأمة من روح قوية تتولى دفعها الى التقدم ، وبعثها الى التطور ، وتحميتها شرّ الجمود الذي يلحق بالأمة فيفضي بها الى التحلل أو الفناء في أمة أخرى . تلك الروح هي العلم بأوسع معانيه ، وعلى ما تقضى به ضرورات الاجتماع ، وحاجات العقول ، وما تستدعيه حياة أمة جُمِعت لتكون في طليعة الأمم .

لا يوجد دين من الأديان ، ولا نظام اجتماعي من النظم المعروفة قديما وحديثا يبلغ شأوا الاسلام في رفع شأن العلم ، والتنويه بقيمته ، وفي الدعوة اليه ، والتعويل عليه ، فقال تعالى : (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ) ، اعتد الله في هذا الأمر الجليل بشهادة أهل العلم ، فرفع من قدر العلم الى حيث لا مرتقى بعده . وقال تعالى : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ، وفي هذا من تشريف العلم ما فيه ، إذ حكم بأن أهله يمتازون عن سواهم ، لأنهم حملة النور الإلهي ، والفائزون برفع كسف الجهل عن العقول . وقال تعالى : (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) ، قال ابن عباس في تفسير هذه الآية : للعلماء درجات فوق المؤمنين عدتها سبعائة . وقال تعالى

في وصف القرآن : (وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) ، جعل العلم أخص صفات كلامه الإلهي . وقال تعالى : (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) ولا نظن أن فوق هذا تنويعها بفضل العلم ، وإشادة بذكره .

أما ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل العلم فلا يكاد يحصى ، كقوله : « يستغفر للعالم ما في السموات والأرض » ، قال حجة الاسلام الغزالي : وأى منصب يزيد على منصب من تشغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له ؟ وقال صلى الله عليه وسلم : « لموت قبيلة أيسر من موت عالم » ، وليس بعد هذا التقدير الصحيح مذهب في تشريف العلم ، والإشعار بأثره في حياة المجتمع .

وقد زاد الله تعالى هذه الوصايا الكريمة قوة ، فجعل كمال التقوى متوقفا على العلم فقال تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) وربط به فهم الأمثال التي يضر بها للناس ليهديهم الى طريق السعادة ، أو ليستنفض همهم للخير ، فقال تعالى : (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبِهَا لِلنَّاسِ لِيَعْلَمُوا إِلَّا الْعَالِمُونَ) .

وماذا تريد من دين يجب أن يقيم أمر جماعته على العلم أكثر من أن يفرضه عليهم فرضا ؟ ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » أو لم يقل « اطلب العلم ولو بالصين » ؟

فأى علم يقصد الدين من كل هذه الوصايا التي يدلى بها والتحضيضات التي يبذلها ؟ لا شك أنه يريد به كل ما يحتمله لفظه من المعارف التي أتيح للبشر الإلمام بها . فأتل قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَخْلًا مَخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ، وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَايِبُ سُودٌ ، وَمِنْ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ ، إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) .

ألا ترى أن في تذييله الآية بحصر خشية الله في العلماء دلالة على أن المراد بالعلماء

هنا العارفون بأسرار هذه الشئون الطبيعية، والواقفون على حقائق المسابير الكونية فوق علمهم بالأمور الإلهية ؟

وانتقل قوله تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) بكسر اللام .

ألا ترى أن في تذييل هذه الأمور الكونية بقوله تعالى : « إن في ذلك لآيات للعالمين » إشعاراً بأن المقصود بالعالمين الذين يأمون بما هدى اليه الباحثون من هذه المعارف الطبيعية والإنسانية ؟

فالعلم الذي يدعو اليه الكتاب ، وتحث عليه السنة النبوية ، هو كل ما يدفع به الجهل والخبيط ، سواء أكان في العقائد الدينية ، أم في الشئون المادية . فقد علم الله سبحانه وتعالى أن الإنسان كما يحتاج لعلم صحيح فيما يتعلق بعقائدها ، يحتاج كذلك الى علم بما تستصاح به معيشتها ، وتبنى به اجتماعها ، وتستكمل به وسائلها ، وتحكم به جميع محاولاتها . وقد فهم آباؤنا الأ ولون هذا الفهم نفسه ، فهبوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لطلب العلم بأوسع ما يحتمله هذا اللفظ من معان ، فتخصص بعضهم لعلوم الدين ، من ضبط قراءة كتابه ، وتفسير معانيه ، وطرق استنباط الأحكام منه ، الى غير ذلك . وه منهم من وقفوا أنفسهم لدراسة السنة وتدوينها ، ونقد رواياتها ، وتمييز أصيلها من دخيلها . وجاعة جعلوا غرضهم اللغة ، فعمدوا الى تحرير مفرداتها ، وضبط مدلولاتها ، وحصر لغاتها ، ووضع معاجمها ، وتدوين علومها . و فرق أخرى استهدفت العلوم الكونية على اختلاف موضوعاتها ، من فلك ورياضة ، وطب وصيدلة ، وكيمياء وطبيعة وغيرها ، فاستوعبوا كل ما وجدوه شائعا من كتبها ، فاما لم يرو لهم غلة شرعوا يترجون ما ادخره اليونان والرومان والفرس في مكنتياتهم ، فاستخرجوا منها ما كان في حكم المعلوم ، فألقوا من ذلك كله مجموعة من العلم لم تتفق لأمة قبلهم ، فقد حشروا اليها كل ما ثبت نفعه من المعارف ، غير متأثرين بعصبية ، ولا بنزعة جاهلية ، كما وصاهم رسولهم صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال : « خذ الحكمة ولا يفرك من أى وعاء خرجت » ، فكانوا

لا يباليون في العلم أن يأخذود من أي مصدر كان ما دام ينتفع به ، ولا يأنفون أن ينتفعوا بالعلماء ، وإن كانوا من غير ملتهم ، فأسندوا رئاسة كثير من جامعاتهم العلمية لرجال من ذوى الملل الأخرى ، لما ثبت لهم أن ليس في المسلمين الى ذلك العهد من يسدون مكانهم .

وقد ثبت أن أسلافنا لم يتأثموا من تعلم شيء مما ترجمود ، بل تناولود جملة وأوسعود تلفية وبمحا ، فنفود ما ثبت بطلانه ، واحتفظوا بما عرفود صيته ، فزادوا مادته ، واكتشفوا علومالم تكن معروفة قبلهم كعلمى الكيمياء والجبر . ولم يتخرجوا من البحث فى أى مذهب من مذاهب العلم بحجة أن ذلك يضر بالدين ، أو أن الدين يحرمه ، حتى بحثوا فى السحر والطالسم والأوافق والزايرجا والتنجيم والسيمياء ، وكل ذلك تحت شعار هذه الحكمة العالية : « تعلم السحر ولا تعمل به » .

اخلاصة أن المسلمين قاموا بدافع من دينهم الى تلمس العلم من جميع مظانه ، وشفغوا به شغفالم يرو التاريخ مثله عن أمة . فبل سمعت فىا قرأت من تاريخ الحروب أن أمة منتصرة تفرض فىا تفرضه على الأمة المغلوبة أن تعطىها مكتبة عامية ؟ هذا ما فعله المسلمون على عهد المأمون بن الرشيد ، فقد شرطوا فى صلحهم مع الرومان تسليمهم مكتبة عينوها لهم ، فقبل امبراطورهم هذا الشرط وسلمهم المكتبة ، فأكبوا على ترجمة أحسن ما فيها ، وأضافود الى ما سبق لهم ترجمته ، حتى أصبحت لهم زعامة العلم فى الأرض ، وصارت مدارسهم وجامعاتهم معاهد للثقافة العالية يقصدها الناس من كل بقعة فى العالم . فإذا كان لا بد من الاستئناس بقول مؤرخ أجنبى فى هذا الشأن ، فإليك ما قاله الأستاذ الفيلسوف (دراير) للمدرس بجامعة نيويورك فى كتابه المنازعة بين العلم والدين : « إن اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الاسكندرية سنة (٦٣٨م) أى بعد وفاة محمد بست سنين ، ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استأنسوا بجميع الكتب العالمية اليونانية وقدرودها قدرها الصحيح » .

الى أن قال :

« ولما ولى الخلافة أبو جعفر المنصور من سنة (٧٥٣ الى ٧٧٥ م) نقل عاصمة الملك الى بغداد وجعلها عاصمة نخمة ، فلم يأل جهدا فى بذل الوسع فى نشر العلوم الفلكية ، وتأسيس مدارس الطب والشرعية .

« ولما تولى حفيده هرون الرشيد سنة (٧٨٦ م) اتبع أثر جده فى هذه الفتوحات العلمية ، وأمر بإضافة مدرسة الى كل مسجد فى جميع أرجاء ملكه . ولكن عصر العلم الزاهر فى القارة الآسيوية لم يشرق إلا فى خلافة المأمون الذى تولى الخلافة من سنة (٨١٣ — ٨٣٢) فإنه جعل بغداد العاصمة العلمية العظمى ، وجمع اليها كتباً لا تحصى ، وقرب اليه العلماء ، وبالع فى الحفاوة بهم .

« هذا المركز الذى اكتسبه العرب ، وهذا الذوق السليم فى العلم ، استمر لديهم حتى بعد أن انقسمت مملكتهم الى ثلاثة أقسام ، فإن العباسيين فى آسيا ، والفاطميين فى مصر ، والأمويين فى اسبانيا ، لم يكونوا متناظرين متنافسين على الحكومة فحسب ، بل كانوا كذلك فى العلوم والآداب أيضا .

« ذاق العرب فى الفنون الأدبية كل ما من شأنه أن يحد القريحة ويصقل الذهن ، وقد افتخروا فيما بعد بأنهم أنجبوا من الشعراء بقدر ما أنجبت الأمم مجتمعة . أما فى العلوم فقد كان تفوقهم فيها ناشئاً من الأسلوب الذى توخوه فى المباحث ، وهو أسلوب أخذوه عن فلاسفة اليونان الأوربيين ، فإنهم قد تحققوا أن الأسلوب العقلى النظرى لا يؤدى الى التقدم ، وأن الأمل فى وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقوداً بمشاهدة الحوادث ذاتها . من هنا كان شعارهم فى أبحاثهم الأسلوب التجريبي ، والدستور العملى الحسى . وقد يلاحظ المطالع لكتبهم العديدة فى الميكانيكا والايديروستاتيك (علم توازن السوائل وضغطها على جدران أوعيتها) ، ونظريات الضوء والإبصار ، أنهم قد اهتموا الى حلول مسائلهم من طريق التجربة والنظر بواسطة الآلات . هذا هو الذى قاد العرب

الى أن يكونوا أول الواضعين لعلم الكيمياء ، والمستكشفين لعدة آلات للتقطير والتصعيد والإسالة والتصفية الخ . وهذا بعينه أيضا هو الذي جعلهم يستعملون في بحوثهم الفلكية الآلات المدرجة ، والسطوح المعلمة ، والاسطرلابات (هي آلات لقياس أبعاد الكواكب) ، وهو أيضا الذي بعثهم لاستخدام الميزان في العلوم الكيماوية ، وقد كانوا على ثقة تامة من نظريته . وهو الذي هدهم لعمل الجداول عن الأوزان النوعية للأجسام والأزياج الفلكية (الأزياج جداول تعرف منها حركات الكواكب) مثل التي كانت في بغداد وقرطبة وسمرقند . وهو أيضا الذي أوجد لهم هذا الترقى الباهر في الهندسة وحساب المثلثات . وهو أيضا الذي همم بهم لاكتشاف علم الجبر ، ودعاهم لاستعمال الأرقام الهندية »

ثم قال في عرض كلامه على مكتباتهم :

« وقد اشتملت مكتبة خلفاء الأندلس على ستمائة ألف مجلد ، وكانت قائمة أسمائها وحدها واقعة في أربعة وأربعين مجلدا . وغير هذا فقد كان بالأندلس سبعون مكتبة عامة ، وكثير من المكتبات الخاصة .

« أما المؤلفات الحديثة فقد كان من عادة أساتذة الجامعة أن يؤلفوا كتباً في الفروع العلمية التي تطلب منهم ، وكان لكل خليفة مؤرخ خاص يكتب تاريخه . » وقد كانت الكتب الزاخرة بالمعلومات التي تصلح لأن تتخذ مادة كثيرة جدا في الجغرافيا والإحصاء والطب والتاريخ وقواميس اللغة ، وكان لديهم دائرة معارف عامية ألفها محمد أبو عبد الله .

« كان الملك الإسلامي يغص بالمدارس والمكتبات ، وكانت بلاد المغول والتتار وصرا كش والأندلس حاصلة على عدد عديد منها ، وكان في طرف من أطراف هذه المملكة الواسعة ، التي فاقت المملكة الرومانية كثيرا ، مرصد في سمرقند لرصد الكواكب ، وكان يقابله في الطرف الآخر مرصد جيرالك في الأندلس .

« ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العالمية العظمى ، خر جنانا عن حدود هذا الكتاب ، فإنهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا (تأمل) ، وأوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم . »
ثم قال :

« إن نتائج هذه الحركة العالمية تظهر جليا فى التقدم الباهر الذى نالته الصنائع فى عصرهم ، وأفاض فى تفصيل ذلك ، ثم قال :
« ليست أوروبا العصرية بأعلى ذوقا ، ولا أرقى مدنية ، ولا ألطف رونقا من عواصم الأندلس على عهد العرب ، فقد كانت شوارعهم مضأة بالأنوار ، ومباعدة أجمل تبليط ، والبيوت مفروشة بالطنافس ، وكانت تدفأ شتاء بالمواد ، وتهوى صيفا بالنسيمات المعطرة بوساطة إصرار الهواء تحت الأرض من خلال أوعية مملوءة زهرا ، وكانت لهم حمامات ومكتبات ومحلات للغذاء وينابيع مياه عذبة الخ » انتهى كلام الأستاذ درابر .

نقول بعد هذا : بهذه الروح العالمية كفيل الاسلام للآخذين به كل ما تستدعيه الحياة الاجتماعية من عوامل للتطور ، وبواعث للنهوض والارتقاء ، ودوافع للتبسط فى الأرض ، والاختلاط بالأأم والافتباس منها ، واستهداف أغراض قصية ، والدأب على بلوغها . فكان للاسلام مارى اليه ، فتألفت من أهله أمة لم تبلغ شأوها أمة قبلها ولا بعدها : صحة فى العقيدة ينحى العقل والعلم إجلالا لها ، وتسليما بها ؛ وعلو فى الحياة كانوا معها مطمح أنظار الأأم ، تعشوا الى نورهم ، وتستهدى بهديهم ؛ ومدنية فاضلة تنعم فيها الروح والجسم معا ، مصداقا لقوله تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَنَحْنُ نَجِدُهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

النفس

سورة الاخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ).

لقد ورد في فضل هذه السورة أحاديث عدة، منها ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ « قل هو الله أحد » يرددها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقأها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن. وروى عنه أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم وقالوا: أينما يطيق ذلك؟ فقال صلى الله عليه وسلم: يقرأ قل هو الله أحد، فهي ثلث القرآن. وكذلك روى أن رجلاً كان على سرية، وكان يقرأ في صلاته قل هو الله أحد، فلما رجعوا أخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أخبروه أن الله يحبّه. وروى غير ذلك مما هو في معناه.

وقد وجه شراح الحديث كونها تعدل ثلث القرآن بجملة توجيهات، منها أن القرآن على كثرة ما فيه من فنون الهداية يرجع في الإجمال إلى التحديث عن ذات الله وتنزيهه ووصفه بصفات الكمال، وإلى الأحكام، وإلى الأخبار. وهذه السورة قد اشتملت على القسم الأول، فتنزيهه في « الله أحد » وفي « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » ووصفه بصفات الكمال في « الله الصمد ».

ومنه من حملة على المعادلة في الثواب . وقد عهد في الأحكام أن الله تعالى يختص بعض الأعمال بمزيد ثواب بالقياس الى أعمال تشاركها وتشبهها في نوعها ، ويكون ذلك تارة لخصوصية في الزمان كليلة القدر وليلة الجمعة ، وفي المكان كالصلاة في المسجد الحرام ومسجده صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى ، وفي نفس العمل كصلاة الفرض بالقياس لصلاة النفل ، ولو كانت صلاة النفل أكثر عددا وأشق فعلا .

ولعل من حكمة ذلك أن أعظم ما يقصد من العبادة أن يكون قاب العبد مستنيرا بنور جلال الله وكبريائه ، وهذا قريب الحصول جدا من تلاوة هذه السورة ، فإنها لجلاء معناها للعقول ، واختصارها في الصورة ، تبقى حاضرة في القلوب ، متجلية للعقول ، تتأثر بها النفس أعظم تأثر ، فلا جرم كان لها هذه الخاصية . ولعل في تسميتها سورة الإخلاص ما يقرب هذا المعنى للعقل ، فإنها قد اشتملت على صفات التنزيه وهي صفات الجلال ، وعلى صفات التمجيد وهي صفات الجمال ، في قوله : « الله الصمد » ومتى امتلأ قلب المؤمن بتنزيه الله عن الشريك والمكافي ، والولد والوالد ، وعن النظير والشبيه ، وعن الجزء وعن الجسمية وما يلتحق بها ، فقد أخلص لله العبادة وخلص من شوائب الشرك . وإذا أضيف إليه استيقان النفس بأنه هو الفعال لما يريد ، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، الذي شملت قدرته كل ممكن ، فهو الذي يصمد إليه أي يقصد في الحوائج ، انقطع اتجاهه الى أي كائن سوى ربه ، وكفى بالإخلاص بابا للنجاة ، ولذلك سميت سورة النجاة ، وسورة المعرفة ، ولها أسماء عدة غير ما ذكر ، كسورة التوحيد وسورة التجريد ، وسورة الأساس ، لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : أسست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد . والحديث يشير الى البرهان المذكور في الآية الشريفة « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » فقد قررت أن أساس الإيجاد هو الوحدة ، ولولاها لم يكن هذا العالم الذي نراه على أتم نظام .

هَذَا وَلِيَعْلَمَ أَنَّ تَفْضِيلَ سُورَةٍ عَلَى سُورَةٍ أَوْ آيَةٍ عَلَى آيَةٍ لَا يَنْفِي أَنَّ السَّكْلَ كَلَامَ اللَّهِ مُتَّحِدِ النَّسْبَةِ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ جَمِيعُهُ حَازٍ مِنَ الشَّرَفِ وَالْكَمَالِ وَالْبَعْدَ عَنِ النِّقْصِ الدَّرَجَةِ الْعَظْمَى .

سبب نزولها — قيل إن قوما من المشركين أرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من يقول له : لقد شققت عصانا ، وسببت آلهتنا ، وخالف دين آبائك ، فإن كنت فقيرا جمعنا لك من مالنا حتى تكون أغنانا ، وإن كنت تبغى الملك ملكناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كان يعتريك شيء من الجن التمسنا لك من يداويك . فقال : لست بشيء مما تقولون ، وإنما أنا رسول الله أدعوكم إلى عبادته . فقال : انسب لنا ربك أوصف لنا ربك : أمن ذهب أم من فضة ؟ فنزلت هذه السورة .

وقيل في سبب نزولها إن قوما من اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم : هذا الله خالق كل شيء فن خلق الله ؟ فغضب صلى الله عليه وسلم ، فنزل جبريل فقال له : اخفض جناحك ، ونزلت هذه السورة . وعلى الأول تكون السورة مكية ، وعلى الثاني تكون مدنية . وقال بعضهم : لا مانع من تكرار نزولها .

قوله تعالى : « قل » أمر له صلى الله عليه وسلم بأن يقول ، والأمر وما بعده كل من كلام الله عز وجل المتلو ، ويكون الامتثال بعد ذلك فيما يدعوهم إليه ، وهو مقول القول بعده ، فهو كقوله تعالى : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وكقوله تعالى : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) وأمثال ذلك ، ينزل عليه الأمر قرآنا يتلى ، وبمقتضاه يكون مكلفا بالإتيان بما أمر به . والسر في إثباتها مع أن الشأن في امتثال الأمر بقل أن يتلفظ بالمأمور بالمقول لا بلفظ قل ، هو الإشارة إلى أن هذا أمر موجه إلى كل من تعرض لمثل هذا المقام ، وابتلى بمثل ما ابتلى به عليه السلام ، أو كأن كل واحد يعرض له مثل ذلك يخاطب نفسه بقوله : قل .

وقوله : « هو الله أحد » لفظ هو ضمير الشأن ، ويؤتى به عادة في موضع مزيد العناية

بالجمله التى تليه ، ويقرب منه فى الاستعمال المتعارف بيننا ما يجرى فى كلام الناس إذ يكون أحد المتخاطبين قد أراد جمع ذهن السامع فيقول له : « الأمر وما فيه إننى قابلات فلانا وكلته فى كيت وكيت » فكلمة « الأمر وما فيه » وما يشبهها كقولك : « المسألة كلها » أو « الموضوع » ونحو ذلك ، هى بمثابة ضمير الشأن فى اللغة الفصحى ، وهى مبنيّة على الاختصار والدقة فى الإفادة ، ذلك أن المتكلم حين يأتى بالضمير ولم يكن قد سبق له مرجع يفسره ، تبحث النفس عن تفسيره ، فلما لم يجده بعد البحث يتجه أ كبل اتجاه لما سيلقى بعده عساه يفهم منه معناه ، فيتمكن ما بعده فى النفس أ كمل تمكن .

ولفظ الجلالة (الله) اسم للذات الأقدس ، الجامع لكل صفات الجلال والجمال ، فلا يخص صفة بعينها بالتنبيه ، فليس كباقي الأسماء من الرحمن أو العليم أو القدير أو الغفار أو القهار مثلاً ، فلكل اسم من أسمائه تعالى معنى خاص يشير إليه من صفاته تعالى ، وأما لفظ الجلالة فهو يشير إلى الذات التى جمعت كل تلك الصفات .

ولفظ (أحد) بمعنى واحد ، والمراد بها وحدة الذات بمعنى عدم تركيبها أو تجزئتها ، ووحدة الصفات أى عدم وجود مشارك له تعالى فى صفة الإلهية ، ولفظ (أحد) تفيد المعنيين ، أى عدم التركيب وعدم التعدد ، بخلاف لفظ واحد فإنها ظاهرة فى نفي التعدد ولا تنفى التركيب ، فيقال جيش واحد مثلاً ، ولا يقال جيش أحد .

ولا نرى بأساً من ذكر كلمة لغوية تختص بكلمة (أحد) : ذلك أنها تارة تكون ملازمة للنفي وشبهه ، فيراد بها نفي الجنس مطابقاً فى انفراد أو اجتماع ، وهى فى هذا تخالف لفظ واحد . فلك أن تقول : ليس فى الدار واحد بل اثنان ، ولا تقول : لا أحد فى الدار بل اثنان . ولذلك يصح وصفها حينئذ بصيغة الجمع ، كقوله تعالى : (فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ) ، وتارة تستعمل فى الإثبات ، وهى على ثلاثة أوجه : إما بمعنى أول ، كقوله تعالى : (أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً) وكقولك فى التعدد مثلاً : هم فريقان : أحدهما كذا ، والثانى كذا ، وإمام مضمومة إلى العشرات ، كقولهم : أحد عشر وأحد وعشرون ؛

وإما وصفا فتختص بالله تعالى ، لأنها حينئذ بمعنى التنزيه عن النظير الموجب للتعدد ، وعن الجزئية الموجبة للتركيب . فكان في لفظ الأحد كمال الوحدة بحيث يكون منزلها عن التركيب والتعدد خارجا وذهنا ، وما يستلزمهما كالجسمية والمشاركة في حقيقة الألوهية أو خواصها ، كوجوب الوجود وكمال القدرة والعلم وشمولها . فالتنزيه عن هذا كله مستفاد من لفظ « الله أحد » . ولعظم خطره أتى قبل الجملة بضمير الشأن على ما سبق ، لينبه الذهن الى تلقيه والاستشراف له ، فيتمكن في نفسه معناه أقوى تمكن . وناهيك بجملة هي مجمع التنزيه والتقديس ، تغرس في نفس المؤمن أن لا رب غيره ولا معبود سواه .

(الله الصمد) : الصمد هو الذي ينتهى اليه السؤدد وليس فوقه ولا يسامته أحد . وهو الذي يصمد اليه الناس في حوائجهم وشئونهم أى يقصدونه . فصمد بمعنى مصمود اليه أى مقصود ومتوجه اليه . وقصد اخلائق اليه تعالى بحوائجهم إما بالاختيار المذيعث عن الايمان ، وإما بالالتجاء الاضطرارى الذى تدعو اليه الضرورة حتما ، وهو المشار اليه بقوله عز من قائل : (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا) وهو ما تراد يفزع اليه كل من يصاب بما لا قبل له به ، إذ يلجأ الى قوة يشعر بها بين جنبيه وإن انهم عليه طريق فهمها على الوجه الأكمل . وإما بالاستعداد الاصلى الذى تشترك فيه جميع الماهيات ، وهو مقتضى إمكانها ، واستعداد الوجود والكمال المنشود لكل نوع منها منه تعالى ، فهو جل شأنه مفزع المؤمنين فى آمالهم ، وملجأ المضطرين فى كشف آلامهم ، وهو متجه اخلائق أجمعين فى نيل الحظ المقدر لكل منها ، من الوجود والكمال ، والتطور من حال الى حال . فهو وحده الصمد على الاطلاق ، فهو الفعل لكل شئ ، والمدير لكل أمر ، والمحيط علمه بكل سر وجهر ، والمتناولة حكمته لكل صغير وكبير ، ولكل جليل وحقير ، وهو على كل شئ قدير . فترى فى كلمة « الله الصمد » على وجازتها الوصف بصفات الجمال والتأثير كلها ، كما كانت كلمة « الله أحد » وإفية بصفات التنزيه عن الشريك والنظير ، وعن الجزئية والتركيب وما يستلزمهما .

قالوا : وإنما عرف لفظ الصمد دون لفظ أحد ، لأن المخاطبين يمهّدون في نفوسهم ويعرفون من فطرتهم أن هناك من يقصد في الملمات ، ويصمد اليه في إدراك الرغائب وإحراز الكمال ، ويتطلعون الى معرفته ، فجئ باللفظ معرفاً لهذا ، وليدل على الحصر وأنه ليس هناك من يصمد اليه غيره . وليس معنى الوحدة ثابتاً في أذهانهم حتى يشار اليه هذه الإشارة ، بل كانت نفوسهم من جهة الوحدة مأوثة بالشرك ، متعلقة بالجسمية ، لا يفهمون الوجود إلا بمقارناتها ، بدليل سؤالهم : أمن ذهب ربك أم من فضة ، وقولهم في بعض الروايات : إن ثلثمائة وستين إلهاً لا يقومون بحاجتنا أفيقوم بها إله واحد ؟ .

هذا وفي تكرير لفظ الجلالة في الجملة الثانية دون الاكتفاء بالضمير أو باللفظ الأول مزيد العناية بإيقاع هذا الوصف الخطير العظيم على صريح اللفظ لا على ضميره ، ليغرس معناه في النفس غرساً مكيناً . وترى في ترك العطف بين الجملتين الإشارة الى أن كلا منهما مستقلة بالقصد إليها ، والتوجه لتقريرها في ذاتها ، بقطع النظر عن تبعيتها لغيرها ، فهي كما تقول في امتنانك على شخص مثلاً : أنا أكرمه كل الأكرام ، أنا ساعدته وقت الحاجة ، أنا نوّهت بشأنه بعد الخول ، تعطى كل جملة على أنها قائمة بنفسها مستقلة بالقصد إليها .

(لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) : كانت الآية الأولى من السورة الكريمة للتنزيه عن الشريك والتركب ، وما بعدها للوصف بصفات الكمال الثبوتية . وهاتان الآيتان للتنزيه عما زعمه بعض جهلة المتدينين من أهل الكتاب من أنه جل شأنه قد اتخذ ولداً ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، فقد نسبوا لله الولد ، وقالت اليهود : عزيز ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . أخذوا يلفقون أقوالاً يتوصلون بها الى زعمهم ألوهية المسيح ، وحاولوا أن يجمعوا بينها وبين دعواهم أنهم من أهل التوحيد ، فلما لم يفلحوا في الإتيان بما تقبله العقول قالوا : هذا مما يعاوى على العقل تصوره ، وليس للعقل أن يبحث في قضايا الإيمان ، بل يجب عليه أن يسلم ما يلقى اليه بدون بحث .

وإن العجب ليحيط بالعقل من كل ناحية إذ يهمل العقل الذي ما ثبت الدين إلا به
بحكم هذا الدين . فلو لا تمييز العقل القضايا الصحيحة المبرهنة من الدعاوى الكاذبة الباطلة
ما استطاع أن يميز بين الرسول الهادى فيتبعه ، والدجال الضال المضل فيحاربه ويردعه ،
فكيف يكون العقل هو أساس الدين ثم يكر عليه الدين فيعطله ويهمل أحكامه ؟
وأى شئ يكون الدين فى نظر العقل حينئذ ، إذ يبنيه ليهدمه ، ويوجده ليعدمه !

نعم قد يكون فى الدين ما يعاود على تصور العقل ، لكن لا على معنى أن العقل
يجزم ببطلانه ولا يستطيع أن يسلم به ، بل على معنى أن العقل لو خلى ونفسه لا يستطيع
الوصول إليه وإدراكه بنفسه ، بل يحتاج الى مرشد يهديه اليه ، ومتى فهمه سامه ولم يجد
محالا يتجرعه ولا يكاد يسيغه كما هو فى زعمهم ، فقد زعموا أن الأب هو الأقنوم
الأول ؛ والابن هو الأقنوم الثانى الصادر منه صدورا أزليا ، فهو مساو له فى الأزلية ؛
وروح القدس هو الأقنوم الثالث الصادر عنهما كذلك ، والطبيعة الإلهية واحدة ، وهى
لكل واحد من الثلاثة ، وكل من الثلاثة متحد معها ، وكل من الثلاثة مستقل فى ذاته
عن الآخرين ، فالأب ليس هو الابن ولا روح القدس ، والابن ليس هو روح القدس ،
ومع هذا هم إله واحد ، وطبيعة واحدة ، وكل منهم يتحد مع اللاهوت ، وإن كان بينهم
تمايز . فإله عندهم ثلاثة أقانيم متميزة بعضها عن بعض تمايزا حقيقيا ، ومع ذلك هو جوهر
واحد ، وطبيعة واحدة ، وليس يوجد فيه غيره ، بل كل ما هو داخل فيه عين ذاته .
فالثلاثة متساوية فى أن كلا منهم ذات الإله ويستحق العبادة . ولما لم يكن هذا مما
يستطيع أن يهضمه العقل ، تستروا بكامة : إن ذلك مما يجب الإيمان به وإن كان فوق
طور العقل البشرى !

ثم زعموا أن الأقنوم الثانى تجسد — وهو الكلمة — واتحد بأشرف أجزاء البتول
بقوة روح القدس ، فكان المسيح عليه السلام المركب من الناسوت ، والكلمة . فهو
عندهم إنسان تام وإله تام ذو طبيعتين ، ولذلك تحمل عليه صفات الإلهية والبشرية .

فترى أنه يصح بمقتضى كلامهم أن يقولوا : المسيح ابن الله ، وأن يقولوا : إن الله هو المسيح ، وأن يقولوا : الله ثالث ثلاثة . وهى مزاعم أعجب ما فيها أن تجدد من عقول أناس يفهمون — عِشاً تأوى اليه ومرتما ترتع فيه . سبحان الله وتعالى عما يقولون علوا كبيرا . من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا .

ولما كانت الأحدية على ما سبق متضمنة نفى النظير والشريك ، ونفى الجزئية والتركيب ، وكانت الصمدية مستلزمة الغنى المطابق عن كل شىء واحتياج كل شىء اليه ، كان نفى الولادة والمولودية عنه ونفى النظير المكافئ كالنتيجة لهما ، فإن من يلد يكون قد انفصل عنه جزء حقق الولد ، والولد بالضرورة من جنس والده ، فلو كان له ولد لكان له جزء وكان له نظير مكافئ . وكذلك لو ولد من غيره لكان محتاجا الى ذلك الغير ، فلم يكن هو الصمد الذى يحتاج اليه وحده ، بل يكون الأحق منه بالصمدية من نشأ هو عنه واحتاج اليه فى صدوره وكيثوته ، ثم يكون نظيرا لمن نشأ هو عنه ، فيكون له كفء . فتجد هذا الأحكام الثلاثة بالنسبة لما سبق كالنتيجة للمقدمات .

وقد أتى بهذه الجمل الثلاث متعاطفة بالواو ، لأنها تشترك فى نفى النظير والمماثل والمناسب بأى وجه من الوجوه . وتجد الثلاثة المذكورة كالأقسام لهذه المماثلة ، فإن النظير إما والد أو مولود أو غيرهما ، فلما تغايرت الثلاثة فى أنفسها واشتركت فى مقسم واحد وهو المناظرة والمشاركة ، كانت الثلاثة بذلك متممة لمعنى واحد هو المقسم ، فلذلك جاءت متعاطفة ، بخلاف مجموع هذه الثلاثة مع الحكمين السابقين ، فقد عرفت أنه كالنتيجة لهما ، وبخلاف الحكمين الأولين أحدهما مع الآخر ، فإن الأول للتنزيه بنفى ما لا ينبغى ، والثانى للتمجيد بإفادة ثبوت الصفات السكالية له تعالى .

وقد أتى فى التعبير بلفظ لم التى هى للنفى فى الماضى ، أما فى (لم يولد) فظاهر ، لأنه لو كان جل شأنه بصدد أن يولد لكان ذلك قد حصل فيما مضى ، وأما فى (لم يلد) فلأن

الذين برؤ عليهم يزعمون أن ذلك قد حصل وانتهى لا أنه أمر يتجدد كل حين ، وأما في (لم يكن له كفوا أحد) فلا أن الذي يتوهم أن يكون مكافئاً له هو من يكون قد وجد من الأزل ، فاذ لم يكن له كفء في الماضي فلا يتصور أن يكون له كفء بعد ذلك . ثم تقديم لم يلد على لم يولد ، لأنه الأتم ، إذ هو الذي كثر مدعوه ، وإن كان يلزمهم أنه ولد أيضاً ، إذ يقولون إن المسيح إله على ما سبق . وتأخير لم يكن له كفوا أحد عنهما ، لأنه استغراق لنفي كل ما يتصور من وجوه المماثلة ، فهو كالعام بعد الخاص . هذا ، وأنت ترى هذه السورة الكريمة قد اشتملت على معظم العقائد الإلهية مع كمال الإيجاز في اللفظ ، ومنتهى الوضوح في المعنى ، فالأحذية أتت على معظم صفات التنزيه ، والصمدية أفادت كل صفات التأثير : من القدرة ، والإرادة ، والعلم ، ويلزمها الحياة ، بل مما يصمد اليه فيه الهداية التي تجيء على السنة الرسل يوحى إليهم بكلامه القديم . ثم نفي الولدية والوالدية والمكافي فيه نفي النظير بأي وجه من وجود المناظرة ، سواء أكان من جنسه أم نوعه أم غير ذلك . والمعارف الإلهية هي أشرف ما يقصد اليه من الأحكام الدينية ، وهي الأساس لكل أنواع الهداية الربانية والسعادة الأبدية ، فلا عجب أن ورد في فضلها ما ورد ، وأن يقول صلى الله عليه وسلم لمن أبلغه أن فلانا كان يكرر قل هو الله أحد في الصلاة : « أخبروه أن الله يحبه » .

نسأل الله تعالى أن يرزقنا محبته ، وأن يوفقنا للاهتمام بهدايته ، وأن يشرب قلوبنا معناها حتى تمتزج بنفوسنا وأنفاسنا ، وأن يسلكنا مع المقربين من عباده ، إنه سميع مجيب . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ابراهيم الجبالي

عمر الفاروق رضى الله عنه

- ٢ -

ألمعنا في العدد السابق بحصة من سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ونأتى اليوم على حصة أخرى ، متابعين تاريخه الحافل بعظائم الأمور وجلائل الأعمال ، فنقول :

كرة أمبراطور الرومان على سوريا :

لما أتم المسلمون فتح سورية وانتزعوها من أيدي الرومان في ثلاث سنين أمضوها في حروب طاحنة ، لم يلبث الأمبراطور هرقل أن كر عليهم بجند كثيف من ناحية حمص عن طريق البحر ، وكان أبو عبيدة بها .

فجمع أبو عبيدة قواده ليستشيرهم ، فأشار عليه خالد بن الوليد بأن يبادر الى مناجزة عدوه دون تريث ، وأشار عليه غيره بأن يكتب لأمير المؤمنين بالمدينة ، فعمل بهذا الرأي الأخير . وكانت جيوش هرقل قد وصلت ، وتواردت عليه الأمداد من كل وجه .

فكتب أمير المؤمنين عمر الى سعد بن أبي وقاص في العراق أن أبا عبيدة قد أحيط به ولزم حصنه ، فبث المسلمين بالجزيرة وأشغل الرومان بهم عن حمص . فأرسل سعد جيوشا الى سورية تحت قيادة القعقاع بن عمرو وغيره ، وأمر أن يسلك كل قائد طريقا الى الجزيرة ، فيقصد جيش قرقيسيا ، وآخر الرقة ، وثالث نصيبين ، ورابع حران والرها ، وخرج عمر نفسه ممدا لأبي عبيدة . فلما بلغ الرومان كل هذا التآهب للملاقاتهم ، انفضوا الى مدائنهم وتحصنوا بها ، فحاصرهم المسلمون فيها لينعوم من إمداد هرقل ، فدبّ الفشل الى جنوده .

فاستشار أبو عبيدة قواده ومنهم خالد بن الوليد، فأشاروا عليه بالخروج لمقاتلة هرقل . فخرج في قلب جيشه وعلى ميمنته خالد وعلى ميسرته عباس ، فحدث قتال انهزم فيه الرومان شر انهزام ، وتركوا الشام يأتسين منها ، حتى روى عن أمبراطورهم نفسه أنه قال وهو خارج منها : أودعك يا سورية الى الأبد !

فتح العراق وفارس :

لما ولى عمر رضى الله عنه الخلافة ندب الناس لفتح بلاد الفرس ، فلم ينتدب له أحد ، لتوهم الناس أن أمر فارس يلتوى عليهم ، لما عرفت به من شدة البأس وقوة الصولة . فأعاد عمر ندب الناس الى فتح بلاد الفرس قائلاً :

« إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة ، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك . أين القراء المهاجرون عن موعود الله . سيروا فى الأرض التى وعدكم الله فى الكتاب أن يورثكموها ، فإنه قال : (ليظهره على الدين كله) ، والله مظهر دينه ، ومعز ناصره ، ومولى أهله مواريث الأمم ، أين عباد الله الصالحون ؟ »

فكان أول من لباه أبو عبيد بن مسعود الثقفى ، وتلاه سعد بن عبيد ، وسليط بن قيس . فاختر عمر منهم أبا عبيد فولاه قيادة الجيش ، وقال له :

« اسمع من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وأشركهم فى الأمر ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين ، فإنها الحرب ، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكث الذى يعرف الفرصة والكف ، ولم يمنعنى أن أؤمر سليطاً إلا سرعته الى الحرب ، وفى التسرع الى الحرب ضياع إلا عن بيان الله »

نفرج أبو عبيد على رأس جيش فى آخر جمادى الأولى من سنة (١٣) الى الحيرة من بلاد العرب ، وكانت تحت حماية الفرس ، وكان عليها امرأة يقال لها بوران ، فاستدعت القائد رستم الفارسى وسامته القيادة العامة ، فالتقى أحد قواده واسمه جابان بجيش أبي عبيد فانهزم أهل الحيرة وأسر قائدهم .

وتقدم أبو عبيد الى كسكر ، فالتقى هناك بقائد فارس اسمه نرسى ، فهزمه .
ثم تقدم أبو عبيد فى زحفه ، فلقى قائد فارسى اسمه بهمن جاذويه ، وكان جيشه مؤلفا
من جنود مدرين ، فأسرع أبو عبيد بعبور نهر المروحة مطّرحا نصيحة سليط بن
قيس فى عدم عبوره ، فقاتلهم الفرس بشدة ، فقتل أبو عبيد فى المعركة ، واشتد كلب
الفرس عليهم ، فانهزم المسلمون وهموا باجتياز النهر الذى عبروه ، فكبر ذلك على رجل من
المتحمسين ، فهدم الجسر ليحجز المنهزمين على الثبات ، فكان فى ذلك شر كبير على إخوانه
المسلمين ، إذ أعمل الفرس فيهم السيوف ، فبادر المثنى بن حارثة على رأس جماعة من الجنود
فشاغلوا الفرس حتى أصلح الجسر وأمكن المرور عليه .

لما بلغ عمر خبر هذه الهزيمة أرسل إليهم مددا تحت قيادة جرير بن عبد الله البجلي ،
فلما أدرك الفرس أن المسلمين جادون فى حربهم ، أرسلوا إليهم قائدا مدربا اسمه مهران
فعبر لهم النهر ، فعبا المثنى بن حارثة جنوده ولقى الفرس فهزمهم شرة هزيمة .

كان الفرس الى هذا العهد فى دور من تفرق السكامة خطير ، فقد كان كل حاكم
على إقليم متغلبا عليه ومستقلا به ، ليس لهم ملك يجمع كلهم ، فلما رأوا أن العرب قد
قصدوا فتح بلادهم ، اتخذوا لهم ملكا يوحد صفوفهم ، ويقودهم للدفاع عن وطنهم ،
فأقاموا يزدجرد بن شهریان من آل كسرى ملكا عليهم .

فلما بلغ عمر ذلك ضاعف من نشاطه ، واستنفر الناس لقتال الفرس ، وخرج بنفسه
فعمسك على ماء بقرب المدينة ، وجنوده لا يعلمون مقصده من ذلك ، ثم فاتحهم بعزمه
على الخروج بنفسه لقتال الفرس ، وطالب إليهم رأيهم فى ذلك ، فأجمعوا على أن يقيم هو
بعاصمة الخلافة ، وأن يعين قائدا يتحمل أعباء القيادة .

فقبل منهم هذا رأى ، ولكنه حار فى انتخاب ذلك القائد الذى يلقى عليه تبعة
هذه المهمة الخطيرة ، وفيما هو كذلك ورد عليه كتاب من عامله على صدقات هوازن
سعد بن أبي وقاص ، فقال بعض رجاله : يا أمير المؤمنين قد وجدته . قال عمر : فمن ؟ قال

ذلك البعض : الأسد عاديا . قال عمر : من هو ؟ قالوا سعد بن أبي وقاص . فلم يتردد في تقليده القيادة . وكان مما أوصاه به قوله :

« ياسعد : سعد بنى وهيب ، لا يفرنك من الله أن قيل خال رسول الله وصاحب رسول الله ، فإن الله عز وجل لا يمحو السىء بالسىء ، ولكنه يمحو السىء بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته . فالناس شريفيهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعاقبة ، ويدركون ما عنده بالطاعة . فانظر الأمر الذى رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منذ بعث الى أن فارقتا فالزمه ، فإنه الأمر . هذه عظمى إياك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين . »

ثم لما أراد أن يسرحه قال له :

« إني قد وليتك حرب العراق ، فاحفظ وصيتي ، فإنك تقدم على أمر شديد كربه ، لا يخلص منه إلا الحق ، فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به ، واعلم أن لكل عادة عتادا ، فتتاد الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نأبأك ، يجتمع لك خشية الله . واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين : في طاعته ، واجتناب معصيته ، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة ، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة . والقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء ، منها السر ومنها العلانية ، فأما العلانية فإن يكون حامده وذامه في الحق سواء . وأما السري فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه ، وبهجة الناس . فلا ترهد في التجب فإن النبيين قد سألوا محبتهم ، وإن الله إذا أحب عبدا حبه ، وإذا أبغض عبدا بغضه ، فاعتبر منزلك عند الله بمنزلك عند الناس ممن يشرع معك في أمرك . »

سار سعد بن أبي وقاص في أربعة آلاف مقاتل ، ولحق به من لحق من الأمم ، فما وصل القادسية إلا ومعه ثلاثون ألفا ، فلم يجد بها جندا من الفرس ، فأخذ يبعث

السرايا هنا وهناك ، ثم تقدم اليه القائد المشهور رستم حتى عسكر بساباط في مائة ألف مقاتل .

فبادر سعد بن أبي وقاص بإرسال وفد الى يزدجرد ليعرض عليه الدخول في الاسلام أو الجزية ، منهم الأشعث بن قيس ، وعمرو بن معدى كرب الزبيدي ، والمغيرة بن شعبة . فجمع يزدجرد وجوه دولته وقبايلهم . فلما مثلوا لديه قال يزدجرد للترجمان : سلهم ما جاء بكم وما دعاكم الى حربنا ؟ أمن أجل أننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟

فقال النعمان بن مقرن لأصحابه : إن شئتم تكلمت عنكم ، ومن شاء الكلام آثرته . فقالوا له : بل تكلم أنت . فقال :

« إن الله رحمننا فأرسل إلينا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة . فلم يدع قبيلة إلا وقاربه منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة . ثم أمر أن نبتدىء بمن خالفه من العرب ، فبدأنا بهم ، فدخلوا معه على وجهين : مكره عليه فاغتبط ، وطائع فازداد . فعرفنا جميعا فضل ما جاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق . ثم أمرنا أن نبتدىء بمن يلينا من الأمم فندعوهم الى الانصاف ، فنحن ندعوكم الى ديننا ، وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله . فإن أبيتم ، فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه : الجزية . فإن أبيتم فللناجزة . فإن أجبتكم الى ديننا ، خلفنا فيكم كتاب الله وأقنناه على أن تحكموا بأحكامه ، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم . وإن بذلتم الجزية قبلنا ومنعناكم (أى وحميناكم) ، وإلا قاتلناكم .

لما سمع يزدجرد هذا الكلام استشاط غضبا ، ورد ردا غليظا ، فأظهر احتقاره للعرب ، وتعجبه من تظاهرهم بهذا المظهر العظيم وهم من أفقر الشعوب وأبعدهم عن النظام .

فأجابه المغيرة بأن ما وصف به العرب من الخلل وسوء الحال هو حق إلا أنه قد

كان قبل الاسلام ، وأما بعدد فالحال صار غير الحال ، ثم دعاه الى مادعاه اليه الخطيب السابق .

فغضب يزدجرد أشد الغضب ، واستدعى بوقر من تراب فقال احموده على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن .

ثم قال ارجعوا الى صاحبكم وأعلموه أنى مرسل اليه رستم حتى يدفعه ويدفنكم معه في خندق القادسية ، ثم أوردته بلادكم حتى أشغالكم بأنفسكم بأشد مما نالكم .

فتقدم أحد رجال هذا الوفد وهو عاصم بن عمرو وقال : أنا سيد هؤلاء ، وحمل التراب على عاتقه ، وخرج الى سعد فقال : أبشر والله لقد أعطانا الله أقاليد ما كهم .

فأخذ سعد في بث السرايا للإغارة على الأطراف . وسار رستم من ساباط لمقاتلته وقدم أمامه قائدا اسمه الجالينوس في أربعين ألفا ، وخرج هو في ستين ألفا ، وجعل على

ميمينته الهرمزان ، وعلى ميسرته مهران ، وجعل يطاول سعدا أربعة أشهر ليضجره ويحمله على الإقلاع . وكان سعد قد أعد للمطاردة عدتها ، ثم بدأ رستم في الهجوم بأمر

من يزدجرد نفسه ، فتقابل الجيشان ، فلقى خيالة المسامين من فيلة الفرس أمرا عصيبا ، لأنها كانت تنفر أمام تلك الفيلة ، فبادرها مشاة المسامين بالسيوف على خراطيمها وبمحل

أحزمها لتند عن أصحابها ، واشتد القتال طول النهار الى الليل دون أن يبدو على أحد الجيشين تضعضع ، ثم عاد القتال من الغد وانتهى في المساء على ما انتهى عليه بالأمر ،

ثم عاد في اليوم الثالث وانتهى على ما كان عليه في اليومين السابقين .

فلما كان اليوم الرابع ، وكان المسامون ليلتهم يشاغلون الفرس ، فلم تذق أجفانهم النوم . قال القعقاع بن عمرو للناس ، (وهو الذى قال فيه أبو بكر لا يهزم الناس وفيهم هذا)

قال للناس : إن الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم ، فاصبروا ساعة فإن النصر مع الصبر .

فاجتمع اليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه ، فحمل الجيشان أحدهما على الآخر الى أن زالت الشمس (أى كان وقت الزوال) ، فتأخر الفيرزان

والهرمزان ثم ثبتا ، وانفرج القلب ، وانتهى القعقاع ومن معه الى سرير رستم ، وجاء هلال بن عقبة فضرب رستم قتيلا . فانهزم الفرس شر هزيمة ، ومات منهم عدد كبير بالغ في تقديره المؤرخون . أما المسلمون فقتل منهم سبعة آلاف وخسمائة ، وهى من أكبر الوقائع التاريخية ، وكان هذا الفتح من أكبر فتوح المسلمين الأولين .

فأقام سعد بعد انتصاره هذا شهرين وكان عمر فيما يفعله ، فكتب اليه يأمره بالمسير الى المدائن وهى عاصمة الفرس ، فصعد بالأمر ، وكان ذلك فى شوال سنة (١٩) ، وقدم طليعته ، فالتقت بطليعة الفرس فهزمتها ، ثم نزلوا ببابل ، وكان قد اجتمع بها بعض فلول الفرس فهزمهم ، ثم سار سعد فالتقى بجيش فارسى فى كوفى فهزمه ، ثم سار الى يهرشير وهى بالناحية الغربية من المدائن ، فلاح لهم إيوان كسرى ، فقال ضرار بن الخطاب : الله أكبر أبيض كسرى ، هذا ما وعد الله ورسوله ، وكبر وكبر الناس معه . فكانوا كلما وصلت طائفة كبروا ، ثم نزلوا على المدينة .

فأقام سعد أياما من صفر وهو يفكر فى كيفية العبور الى المدينة الثانية التى فيها إيوان كسرى ، فرأى أن يعبر إليهم نهر دجلة سباحة ، فاقحموا النهر ، فقابل الفرس خيلهم بخيل مثلها فى النهر ، فالتقوا وتطاعنوا فولى الفرس الأدبار ، وتلاحق المسلمون فى النهر سباحة حتى بلغوا الضفة الثانية ، وكان كسرى يزدجرد قدم عياله الى حلوان قبل ذلك ، فغلا عن المدينة بما قدر عليه من الأموال ، وتركوا من المتاع والآنية والذخائر ما لا يحصى . ولم يجد المسلمون بالمدينة إلا حرس القصر الأبيض ، فساموا بلا قتال ، ودخل سعد إيوان كسرى ، وصلى فيه واجلش خلفه ، ولم يضيروا ما به من التماثيل ، فصلى والتماثيل تحيط به . ولما دخل القصر كان يتلو قوله تعالى : (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) .

ثم شرع سعد بن أبى وقاص فى تقسيم الغنائم التى غنمها ، فأصاب الفارس اثنى عشر

ألف درم، وكانوا كلهم فرسانا، وأرسلوا الخس لبيت المال، وفيها سيف كسرى ومنطقته وزبرجدة، فلما رآها عمر قال: إن قوما أدوا هذا لذوو أمانة.

لما أتم سعد فتح المدائن أرسل قواده لتتبع المنهزمين، فأرسل زهرة بن الحيوية إلى النهر وان، فسلم له أهل النواحي وعاهدوه على دفع الجزية، وأرسل سعد بن عبد الله ابن المم إلى الجزيرة ففتح تكريت والموصل، وأرسل هاشم بن عتبة إلى حلوان حيث يقيم كسرى، وكان قد فر منها فاحتلها، ثم هاجم الحمراء فافتتحها. وفر يزدجرد إلى البلاد الصينية. وبذلك تم فتح الفرس كلها.

حقا إن هذا أكبر الفتوح الإسلامية، بل أكبر الفتوح على الإطلاق، فإن حربا تنتهى بنهايتها دولة عظيمة كدولة الفرس كان لها نصف السلطان في الأرض لا يوجد لها مثال في تاريخ البشر، إذ أن الأمبراطورية الرومانية كانت في نزاع مستمر مع دولة الفرس، وناهيك بالرومانيين وعلمهم بالحرب، فلم يحلموا في أكبر انتصاراتهم عليهم أن يحتلوا عاصمتهم، وأن يزيلوا دولتهم. أفيشك شك بعد هذا في أن ذلك مصداق لقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ) ؟

فتح مصر:

كان عمرو بن العاص قد وفد على مصر في الجاهلية وعرف سهولة قيادها، فكان يتطلع أن يعطيه أمير المؤمنين أمرا بفتحها. ففي سنة (١٩) اختلى عمرو بعمر، وكنه في شأن مصر، وهون عليه أمرها، فتردد عمر أولا، لأن جيوشه كانت متفرقة في الشام والجزيرة وبلاد العجم تحارب الرومان والفرس، وهما دولتا العالم كله إذ ذاك، ثم قبل أن يذهب لفتحها، فجهز معه أربعة آلاف رجل ودعاه بالتوفيق.

فسار عمرو حتى بلغ الفرما، فقاتله بها الرومان نحو من شهر ثم انهزموا، فتقدم إلى القواصر فافتتحها، ثم إلى بلبيس فأقام دينين فصهر فافتتحها جميعا، وكتب إلى عمر يستعده.

فأمدد بأربعة آلاف ، وكتب إليه أنى أمددتك بأربعة آلاف رجل منهم أربعة كل رجل منهم يعد بألف : الزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، ومسامة بن مخلد .

وحدث أن المقوقس كبير القبط بمصر اتفق مع عمرو على أن يعينه على فتح مصر تخلصاً من عسف الرومانين بالمصريين ، فقصده عمرو الإسكندرية حيث تقيم الجيوش الرومانية ومهرة قوادهم ، فحاصرها مدة ، ثم هاجمها هجوماً عاماً وأخذها عنوة ، وبذلك تم له فتح مصر . ثم سار إلى برقة وهي واقعة بين مصر وطرابلس الغرب ، فصالحه أهلها على الجزية ، ثم سار إلى طرابلس ففتحها عنوة ، وكتب إلى أمير المؤمنين : « أما بعد فقد بلغنا طرابلس وبينها وبين إفريقية (أى تونس) تسعة أيام ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوها فعل » .

فأجابه عمر بأن يكتب بما وفق إليه . فولى عمرو على برقة عقبة بن نافع ، وعاد هو إلى مصر .

إلى هنا انتهى تاريخ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وبقي أن ننظر في مقالة ثالثة في آثاره العمرانية ، وأعماله المدنية .
محمد فريد وجري

النهى عن اتباع الشهوات

قال الله تعالى عن الهالكين : « أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « طاعة الشهوة داء ، وعصيائها دواء » . وقال عمر رضى الله عنه : اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها فانها طلالة تنزع إلى شر غاية . إن هذا الحق ثقیل مرى (بفتح فكسر أى حميد العاقبة) ، وإن الباطل خفيف وبى (بفتح فكسر أى مهلك) ، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ، ورب نظرة زرعت شهوة ، وشهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً .

بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتَاوَى

سنة الجمعة القبلية

ورد إدارة المجلة السؤال الاتي :

اطلعنا على مقال مسهب في بعض المجالات تحت عنوان (الصلاة قبل الجمعة وبعدها) تعرض فيه كاتبه للركعتين اللتين قبل الجمعة ، وقال : إنها بدعة لا ينبغي فعلهما ، وأطال في ذلك .

وقد تعرض للحديث الذي رواه ابن ماجة في سننه من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يركع قبل الجمعة ، وطعن فيه ، مع أن مذهب الشافعي رضي الله عنه يرى طلبهما وسننهما .

والآن وقد وقفنا بين يين ، نرجو من قادة الدين أن يقولوا القول الفصل في ذلك لنعرف ما هو الحق ، ونقف على دليل الشافعي إن كان له دليل . نرجو الإفادة قطعاً للشك ، وتحقيقاً للحق ، وإزهاقاً للباطل ، إن الباطل كان زهوقاً .

ولفضيلتكم جزيل الشكر ، ودمتم للدين
عبد الله العرابي
أحد قراء المجلة

الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

قبل أن نخوض بك في غمرات البحث والاستدلال ، يجب أن نعرف أن هنا شيئاً ينبغي التنبيه له ، وهو أن المسائل الاجتهادية الفرعية يكنفي فيها الظن ولا ينبغي فيها التنازع ، وكل من طلب فيها الدليل القطعي فهو إما جاهل لا ينبغي أن يكون في عداد العلماء ، وإما سيء القصد لا يريد إلا الظهور بأية وسيلة ، وإن لبس على المسامين ، واتبع غير سبيل المؤمنين ، وهذا هو الغالب على تلك الطائفة . ولذلك تراهم متناقضين ،

فترى الواحد منهم تارة من الظاهرية، وطورا من الباطنية؛ وحيناً يدعى الاجتهاد المطلق فيخرج على الأئمة الأربعة، زاعماً لنفسه درجة هو أبعد الناس منها؛ وتارة تراه غريقاً في تقليد ابن تيمية من فرقه الى قدمه، والمبطل لا بد أن يتناقض شاء أم أبى، ولسان حاله بقول :

طورا يمان إذا لقيت ذا يمن وإن لقيت معديا فعدناني

ولو عاوا لعرفوا أن الناس لا يتركون أئمتهم المشهود لهم بالخير والدين والعلم والتبريز في كل فضيلة، ويتبعوا هؤلاء المشهود لهم بما لا نطيل القول فيه، وهو غنى عن البيان .

هؤلاء يجازفون في كل ما يعن لهم، ولا يباليون بخرق الإجماع، ولهذا أنكروا شد الرحال لزيارته صلى الله عليه وسلم وهو مجمع عليه، ثم يزعمون بعد ذلك أنهم سافيون أهل كتاب وسنة .

وأى شيء يريدون بعد أن عرفنا صلى الله عليه وسلم أن الخطيئة له أجر والمصيب له أجران، فلم يكتف برفع الوزر عن الخطيئة بل جعل له أجرا . وقد عرف ذلك العلماء من أئمة الهدى، حتى ذهب كثير منهم الى أن الحق يتعدد تبعاً لظن المجتهد، فإن الله لم يكلفه إلا بما أداه اليه اجتهاده، فكأن الحق بالنسبة اليه هو ما اعتقده، وليس المقصود من التكليف إلا تحقيق العبودية، وعدم الخروج على الله ورسوله، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها . وقد قالوا : إن المجتهد يجب عليه اتباع ظنه، ويحرم عليه التقليد . فأى شيء بقي بعد ذلك ؟ ولكنهم ملبسون يريدون التهويل حبا في الظهور، أو جاهلون لا يمكنهم التعمق في البحث، ولا الوقوف على منازع الأئمة، ولا ما أصله العلماء في ذلك . وإن من أكبر بلايانا التي نئن منها ولا ندري منهاها وجود طائفة بيننا لا تفهم ولا تقلد من يفهم « إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير » . ولو كان عندهم أدنى شفقة على المسلمين أو إخلاص لهم لعرفوا أن الدين

النصيحة ، وأنه ليس من الدين ولا من العقل أن نعرض العامة للخوض فى الأدلة والموازنة بين المجتهدين ، فذلك ليس من شأنهم ولا هو فى متناول قدرتهم ، ولا نتيجة له إلا ضعف الثقة بأئمتهم ، وتشكيكهم فى دينهم وعقيدتهم . على أن أولئك المهوشين ليسوا فى العير ولا فى النفير ، ولا من العلماء فى قليل ولا كثير . فليس من المعقول كما قلنا أن يترك الناس ما عرفوه من مذاهب الأئمة المشهود لهم بالخير والصلاح والدين والورع والبحث والتحرى ، الى هؤلاء الذين يسرون وراء الخيال وليس يعينهم إلا أن يقال .

والآن نذكر لك مما استدل به الشافعى رضى الله عنه على سنة الجمعة ما يكفى بعضه للاجتهد المعقول المقبول .

ولا نزال نكرر أن الظن كاف فى هذا الباب ، ولا يطلب غيره ، وأنه متى وصل اليه المجتهد وجب عليه اتباعه والقول به . وهاك قليلا من كثير :

فمن ذلك ما رواه عبد الله بن الزبير عند ابن حبان فى صحيحه والدارقطنى والطبرانى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مامن صلاة مفروضة إلا وبين يديها ركعتان » ومن ذلك ما رواه الطبرانى فى الأوسط « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى قبل الجمعة أربعاً وبعدها أربعاً » ذكره العيني فى عمدة القارى ولم يعلق عليه ، وقد ساقه للاستدلال . وقال فى الفتح : روى الطبرانى فى الأوسط عن على « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى قبل الجمعة أربعاً وبعدها أربعاً » وعلق عليه بقوله : وفيه محمد بن عبد الرحمن السهمى وهو ضعيف عند البخارى وغيره . ولكن هذا الطعن الذى ذكره الفتح لا يمنع الاستدلال به ، لا لأن الجرح غير مفسر كما قال بعضهم ، بل لأن الطعن غير متفق عليه ، فإن البخارى ضعفه ، ولكن إماما آخر من أئمة الحديث وثقه وهو ابن عدى ، فيصح أن نقول : إن هذا مثل عكرمة الذى وثقه البخارى واحتج به وضعفه غيره ، ومثل سويد بن سعيد الذى احتج به مسلم وقد اشتهر الطعن فيه . وبالجمل فحديثنا هذا غير

مافق على فمجرى رواة ، ففصء الاءافبب به عفا من لا يرى فمجرى مءمء بن عبء الرءمن السهمى المءكور .

وعن ابن عمر أنه كان يطيل الصلاة قبل الجمعة وىصلى بعدها ركعتين ، وىبء أن رسول الله صلى الله علفه وسلم كان ففعل ذلك . رواه أبو ءاوء . وقال العراقى : إسناؤه صءفب .

وقال المءزى : أءرجه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة من وجه آخر بمعناه . وروى الترمذى : « من صلى فى يوم وليلة ثنى عشرة ركعة بنى له بب فى الجنة : أربعا قبل الظهر ، وركعتف بعدها ، وركعتف بعء المغرب ، وركعتف بعء العشاء ، وركعتف قبل صلاة الفجر » ونحوه فى مسلم من ءءف أم ءبببة ، غير أنه لم فذكر هذا التفصفل . وفى روافة عن أم ءبببة بنت أبى سففان : « ما من عبء مسلم فوضاً فأسبغ الوضوء ثم صلى كل يوم ثنى عشرة ركعة فطوعا غير فرفضة إلا بنى له بب فى الجنة » .

أفقرى أن ذلك ماطوب كل يوم إلا يوم الجمعة الذى ففأ كء ففه الطاعة ، وفزاء ففه الءرص على العباءة وعمل الءفر ؟ !

وقء صرح الءءف بالعمم فقال : كل يوم ، كما سمعت . وفصل الترمذى فى رواففه للمفءمة هذه الركعات غاية التفصفل . وروافة الترمذى وإن لم فذكر ففها لفظ كل يوم فففها فذكر النكرة فى سفاق الشرط وهى فففء العموم ، ولا معنى لا فءرا بوم الجمعة الذى هو أفضل الأيام وأولاها بالصلاة والعباءة .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله علفه وسلم قال : « من اغفسل ثم أفى الجمعة فصلى ما فءر له ثم أفصء ففى ففر بامام من ءطبفه ثم فىصلى معه ، ففر له ما بفنه وففن الجمعة الأءرى » الءءف . رواه مسلم . وباء فى بعض الروافب عفا الامام أءمء بلفظ : « فإن لم فبء الامام فخرج ، صلى ما بءا له ؛ وإن وباء الامام فء فخرج ، فباس فاستمع وأفصء ففى ففضى الامام فففعفه » الءءف .

فجعل الغاية خروج الإمام وهو لا يخرج إلا بعد الزوال . وقال أبو عيسى الترمذى :
 إن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه كان يصلى قبل الجمعة أربعاً وبعدها أربعاً . وإليه
 ذهب سفيان الثوري وابن المبارك . وروى الشافعى عن ثعلبة بن أبى مالك عن عامة
 الصحابة أنهم كانوا يصلون نصف النهار يوم الجمعة . الى غير ذلك وهو كثير . وبعض
 هذا كاف للاستدلال على ما ذهب اليه الشافعى رضى الله عنه .

وهنا روايات ضعيفة لا بأس أن نسمعك شيئاً منها وليس التعويل عليها ، فإن
 عندنا غيرها على ما سمعت . ولا شك أن كثرة الروايات تفيد قوة الظن ، ويؤكد بعضها
 بعضها . ولا داعى لأن نقول إن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال ،
 فالأمر هنا أعظم من ذلك . ولو لم يكن للشافعى إلا قياس الجمعة على الظهر ، وقوله
 صلى الله عليه وسلم : « بين يدي كل فريضة صلاة » وقد أخرجه ابن حبان فى صحيحه
 وغيره لكفى وشفى ، وقضى على تلك الجمجمة الحقاء . وهالك بعض الروايات الضعيفة
 التى وردت فى الموضوع :

روى الشافعى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى
 عن الصلاة نصف النهار حتى تزول الشمس إلا يوم الجمعة . ولكن فى إسناده ابراهيم
 ابن أبى يحيى وإسحاق بن عبد الله بن أبى فروة ، وهما ضعيفان . ورواه البيهقى من
 طريق أبى خالد الأحمر عن عبد الله شيخ من أهل المدينة عن سعيد عن أبى هريرة
 رضى الله عنه . ورواه الأثرم بسند فيه الواقدى وهو متروك . ورواه البيهقى أيضاً
 بسند فيه عطاء بن عجلان وهو متروك أيضاً . وفى بعض الروايات أنه صلى الله عليه
 وسلم كره الصلاة نصف النهار إلا يوم الجمعة وقال : إن جهنم تسجر إلا يوم الجمعة . وفيها
 ليث بن أبى سائب وهو ضعيف . ومن ذلك حديث ابن ماجة الذى فيه بقية بن الوليد
 وغيره من الضعاف . فهذه الروايات الكثيرة يقوى بعضها بعضها وإن كان فيها مقال .
 وقد تقدم لك ما يصح الاعتماد عليه من غير هذه الروايات .

والخلاصة أن الصلاة قبل الجمعة مرغّب فيها عموماً وخصوصاً . وقد قال بعض العلماء : لم يتمسك المانع من الصلاة قبل الجمعة إلا بحديث النهى عن الصلاة وقت الزوال ، وهو مع كون عمومها مخصصاً بيوم الجمعة ليس فيه ما يدل على المنع من الصلاة قبل الجمعة على الإطلاق ، فإن غاية ما فيه المنع في وقت الزوال وهو غير محل النزاع . وعلى كل حال فما تقدم كاف للمنصف ، ولا حاجة للإطالة فيه .

وبعد : فهؤلاء الناس إنما يقصدون التلبيس على المسامين ، وإيقاع الشقاق فيما بينهم ، بتفريق كلمتهم ، وفصم عرى وحدتهم ، خبا في الظهور . فعلى ولاية الأمر أن يردعوهم عن ذلك بالزجر البليغ ، والتأديب الشديد ، كما كان يفعله الحكام في العصور الأولى ، وكما تفعله الحفانية الآن مع من يحكم برأيه ، ويقضى بمذهبه الخاص . فعلى الوعاظ وأئمة المساجد ألا يتعرضوا لمن يقلد إماماً من الأئمة الأربعة ، ويدعوه وما اختار لنفسه من تلك المذاهب التي تلقاها المسامون بالقبول ، وقامت البراهين على أنها مستمدة من كتاب الله وسنة رسول الله .

وإني مالكي والمالكية لا يرون سنة الجمعة . ولكني لأحب الخروج على أئمة الهدى وورثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمسائل الاجتهادية يكفى فيها هذا وأقل من هذا على ما شرحنا لك . وما من أمة لا تعظم أئمتها ولا تحترم علماءها وعظماؤها إلا ذهب ريحها وحق القول عليها . نسأل الله أن يقينا شر مضلات الفتن ، ومزالق الأهواء بمنه وكرمه .

يوسف الربوي

في التنافس فيما يفنى

قال الفارابي : ينافس هذا لهذا على أقل من الكلام الموجز
محيط السموات أولى بنا فإذا التزاحم في المركز

شهادة كبار الفلاسفة للإسلام

برنارد شو يعتقد بأن أوروبا ستدخل فيه

برنارد شو الكاتب الفيلسوف الانجليزى لا يحتاج لتعريف ، فهو ليس برجل عظيم فحسب ، ولكنّه فى طليعة الأفاضل ، والعالم كله يرقب حركاته وسكناته ، ويهتم بقراءة أخباره . ومن أخص مميزات آراء جريئة يبدىها بصراحة لا يمتطيعها غيره . وهو ممن يعتقد عقيدة راسخة بأن الأمة الانجليزية ستدخل فى الديانة الإسلامية قبل أن ينتهى هذا القرن .

واقفنا على حديث له فى رسالة انجليزية تحت عنوان « نداء للعمل » كشف فيها القناع عن عقيدته فى صلاحية الإسلام لجميع الأمم ، وفى كل الأطوار التى تدخل فيها فى أى مكان وزمان .

فقال فى ذلك الحديث أثناء سياحته فى بمباى :

« لقد وضعت دأئما دين محمد موضع الاعتبار السامى بسبب حيويته المدهشة ، فهو الدين الوحيد الذى يلوح لى أنه حائز أهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة ، بحيث يستطيع أن يكون جذابا لكل جيل من الناس .

« لا مشاحة فى أن العالم يعلق قيمة كبيرة على نبوءات كبار الرجال . ولقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولا لدى أوروبا غدا ، وقد بدأ يكون مقبولا لديها اليوم . وقد صور أكليروس القرون الوسطى الإسلام بأحلك الألوان ، إما بسبب الجهل ، أو بسبب التعصب الذميم .

« ولقد كانوا فى الواقع يرون على كراهية محمد وكراهية دينه ، وكانوا يعتبرونه خصما للمسيح . ولقد درستّه باعتباره رجلا مدهشا فرأيتّه بعيدا عن 'مخاصمة المسيح' ، بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية . وإنى لأعتقد بأنه لو تولى رجل مثله دكتاتورية العالم الحديث

لننجح في حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة اللذين هو في أشد الحاجة إليهما . ولقد أدرك في القرن التاسع عشر مفكرون مخلصون أمثال كارلايل وجوت وجيبون القيمة الذاتية لدين محمد ، وهكذا وجد تحول حسن في موقف أوروبا من الإسلام . ولكن أوروبا في القرن الراهن تقدمت في هذا السبيل كثيرا ، فبدأت تعشق عقيدة محمد . وفي القرن التالي ربما ذهبت الى أبعد من ذلك ، فتعترف بفائدة هذه العقيدة في حل مشاكلها . فهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتي . وفي الوقت الحاضر كثيرون من أبناء قومي ومن أهل أوروبا قد دخلوا في دين محمد ، حتى ليكن أن يقال إن تحول أوروبا الى الإسلام قد بدأ « انتهى .

يرى القارئ مما مر أن الفيلسوف الانجليزى برناردشو يعتقد عقيدة راسخة في أن أوروبا قد بدأت تتعشق الإسلام ، وأن القرن الحادى والعشرين لن يمضى حتى تكون أوروبا قد اتخذته دينها لها ، وعهدت اليه في حل مشاكلها .

وأحسن ما قاله في حديثه هذا أن الاسلام هو الدين الوحيد الذى يعترف بالتطورات المختلفة للحياة البشرية ، ويستطيع أن يكون جذابا لجميع أجيالها .

فهذه الأقوال لا تصدر إلا من رجل يكون قد عرف حقيقة الإسلام ، وشعر كيف يؤثر بحاله على القلب ، ويتسلط بحاله على النفس . وليس برناردشو أول من شعر بهذا ، فقد سبقه كثيرون وعلى رأسهم جوت الفياسوف الألمانى المشهور المتوفى سنة (١٨٣٢ م) وهو يعتبر من أكثر رجالات الألمان علما وعقلا وبُعد نظر . يؤثر عنه أنه نظر في الإسلام فأعجبه فقال : « إذا كان هذا هو الإسلام فمجن إذاً فيه » . وليس يخفى أن الألمانين في ذلك المهد كانوا مظهر الثقافة العلمية بكل ما فيها من مفيد وطريف .

مما يلفت نظر الباحث الاجتماعى في حديث الفيلسوف الانجليزى قوله : إن أوروبا ربما اعترفت بالعقيدة الإسلامية طلبا لحل مشاكلها ، وقوله قبل ذلك : إنه لو تولى

رجل على مثل صفات محمد صلى الله عليه وسلم دكتاتورية العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته بطريقة تجلب اليه السلام والسعادة للذين هو في أشد الحاجة إليهما ، فهذه الأقوال ليست ملقاة على عواهنها ، ولكنها ثمرات بحث وتحليل وتفكير ، فإن القرآن الكريم أرصد لكل مسألة من مسائل الاجتماع حلا معقولا لا يدع للإفراط والتفريط سبيلا الى العبث بالمجتمع ، وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بتطبيق ذلك النظام الإلهي على الآحاد الذين اتبعوه ، فألف منهم أمة ما فتئت تنمو وتشتد وترقى الدرجات العلى في كل مجال من مجالات النشاط العقلي والمادى ، حتى انتهت إليها زعامة العالم قرونا متوالية ، فكيف لا ينجح في معالجة أدواء العالم الحديث رجل يقوم على قدم محمد ، فيطبق عليها ما أرصده القرآن الكريم لكل منها من علاج حاسم ؟

هذا كلام لا غبار عليه ، وقد رددناه في افتتاحياتنا هنا وقرناه بالأدلة العالمية المحسوسة . فاذا صح هذا على الأمة الإسلامية الأولى ، وصح على الأمم الأوروبية الحديثة ، أفلا يكون أصح على الشعوب الإسلامية الراهنة ، فتسترد به مجدها الضائع ، وتستعيد فتاها الزائل ، وتصبح جذيرة بالانتساب لأسلافها الأولين ؟ وهذا ما رددناه كثيرا ونردده في كل فرصة ، وبالله التوفيق .

إن أكبر المسائل الاجتماعية التي تهدد مدينة أوروبا في العصر الراهن للمسألة الاقتصادية ، فإن النظام الرأسمالي المتطرف الذي يقوم عليه الغرب قد استدعى في الأزمنة الأخيرة أن يتولد في السواد الأعظم من شعوبه ميول ثورية لا تقف مطالبها عند حد ، وما نجمت المذاهب الاشتراكية التي تبني نظرياتها على الأصول الاقتصادية إلا لترجم عن هذه الميول الثورية ، وقد نجحت هذه المذاهب في جمع كلمة العمال والفقراء وتعبئتهم تعبئة صالحة للنضال والثبات ، مما كان أثره تحسين حالة المحرومين من المال بعض التحسين ، ولكن هؤلاء لا يزالون يرون أن لهم حقوقا على المجتمع أكبر مما رضخت لهم به تلك الحكومات . ولما كان من شأن الأمراض

الاجتماعية أن تستشرى وتعضل إذا لم تستأصل جراثيمها، فإن هذه المذاهب الاشتراكية بما تطرفت في مزاعمها، وتبسطت في مدعياتها، قد استحوطت الى برامج انقلابات خطيرة تهدد وطائد المجتمعات بذلك عند سنوح أقرب الفرص، وقد أفضى التناهي ببعضها الى الشيوعية البحتة.

هذه حالة تعتبر على أقصى حد من الخطورة، وتؤدي الى تداعى بناء المدينة الغربية وسقوطها عند أول صدمة، فإذا لم تسعف بالعلاج الفعال السريع التأثير فقد لا تبقى ولا تذر. وهل لهذه الحالة من علاج معقول غير النظام الذى أرصده الإسلام لمثلها منذ نحو أربعة عشر قرناً قبل أن توجد المجتمعات الأوربية الحالية، وقبل أن تستحيل المسألة الاقتصادية فيها الى هذه النتيجة المزعجة؟

نعم: لقد شرع الإسلام للعالم نظاماً تعاونياً حكماً فيه كل ما فى المبدأ الرأسمالى من حسن ونافع، وكل ما فى المذاهب الاشتراكية من حق وواجب، فجاء نظاماً حاصلًا على جميع مزايا المذهبين دون أن يلتاث بشيء من مساوئهما.

فإذا كان النظام الرأسمالى يغمط حق العمل فى الإنتاج، ويتجاهل حق الفقراء من المال الاجتماعى العام، وإذا كان المذهب الاشتراكى يتغابى عن مكان رءوس الأموال الفردية من بناء الصرح الاقتصادى للأمم، ويرى أن من الواجب هدمه، وبناء غيره على أساس رأس المال الاجتماعى العام، مغضياً كلاهما عما يبتنى على تطرفهما من النتائج الخطيرة، فإن الإسلام لم يغفل ذلك أصلاً، فأتى بنظام حكيم يقر رءوس الأموال الفردية من ناحية، ولا يغضى عن المحرومين منها، فيفرض لهم حصّة سنوية منها من ناحية أخرى. فكان هذا الحل كما ترى وسطاً جامعاً لمزايا كلا النظامين الاقتصاديين، وخالصاً من عيوبهما، تنحسّم به مادة المتنازعين على الحياة، ويبطل تناحرهما عليها، ويحل محله تكافل ينتظم عليه أمر الجماعة، ويسود بين فريقها التحاب والتعاون فى الحياة الاجتماعية، ذلك النظام هو الزكاة التى جعلها الإسلام ركناً من أركانه.

فإذا يريد المحروم أكثر من أن يكون له حق مفروض في مجموع مال الأمة الموزع على أفراد منها؟ وماذا ينبغي صاحب رأس المال أكثر من أن يأمن على ماله في مقابل حصة من ربحه يؤديها للحكومة تضعها مواضعها، مما نص عليه الكتاب في آية الزكاة المعروفة « إنما الصدقات (أى الزكاة المفروضة) للفقراء والمساكين والعاملين عليها » الخ الآية الكريمة؟

هذا النظام لا يدع لأحد الفريقين المتنازعين سلاحاً يشهره في وجه مناظره، ولا يترك له طريقاً الى ملاحاته.

فهذه علة من العلل التي يعنيها الفيلسوف (برنارد شو) ويقول إنها تشفيها متى أخذت أوروبا بالإسلام وعملت به. وفيها علة أخرى لكل منها دواء خاص في الإسلام لا يتسع المقام للكلام عنها في عجالة واحدة، فندخرها لفرص أخرى إن شاء الله.

وبعد: أفلا يعتبر هذا كله مصداقاً لقوله تعالى: (سُئِرِ بِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) ؟

محمد فريد وجدي

النهي عن اتباع الهوى

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أخاف عليكم اثنين: اتباع الهوى، وطول الأمل.
فإن اتباع الهوى يصد عن الحق، وطول الأمل ينسى الآخرة.
وقال الشعبي: إنما سمي الهوى هوى لأنه يهوى بصاحبه.
وقال بعض الحكماء: من أطاع هواه، أعطى عدوه مناه.
وقال غيره: العقل صديق مقطوع (أى مهجور)، والهوى عدو متبوع.
وقال هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي ولم يقل غيره من الشعر:
إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى إلى كل ما فيه عليك مقال

مذهب النشوء والارتقاء في الميزان

اتضح وهن أصوله وضعف أسانيد

نتابع اليوم الكلام في دحض مذهب دارون معتمدين على ما كتبه عنه الأستاذ الدكتور (جوستاف جوليه) في كتابه (من لا شاعر الى شاعر).

ألم الدكتور المذكور في فصله الثالث باكتشاف جديد للأستاذ (دوفريس) الألماني في الاستحالات الفجائية لأنواع نباتية وحيوانية، وهو اكتشاف يهدم مذهب دارون ولا مارك من أساسيهما، فإنهما يفترضان أن هذه الاستحالات لا تكون إلا يسيرا يسيرا وفي آماط طويلة. حتى اضطر الأستاذ لودانتك مدرس البيولوجيا في جامعة السوربون أن يقول في كتابه (أزمة مذهب التحول): إن هذه الاكتشافات لا تدحض مذهب دارون ولا مارك فحسب، بل ومذهب التحول الطبيعي نفسه.

والعجيب أن مسألة الاستحالات الفجائية للأنواع الحية قد رآها وأعلنها رجال من كبار الطبيعيين مثل (جوفروا سانتيلير)، ولكنها لم تغلب على الجمود العالمي، فبقيت نظرية الاستحالات التدريجية البطيئة سائدة على العقول.

ولكن بفضل هذا الاكتشاف الأخير قد تنبه الناس الى هذا الأمر وراجعوا مادون من المعارف الحفرية، وفيها أن جميع الأنواع النباتية والحيوانية قد وجدت من طريق الفجاءة لا التطورات التدريجية البطيئة. وقد شوهد أن الحيوانات من أول ظهورها تكون حاصلة على الإلهامات الضرورية لحياتها كاملة غير منقوصة، وأنها تحفظها بعيدة عن التغيرات ما دامت أنواعها موجودة.

وقد ثبت أن الصفات الطبيعية والإلهامات تثبت في الأنواع الحية ولا تتغير. وهذه من أكبر الدلائل على دحض مذهب النشوء والارتقاء، لأنه يقتضي استمرار تحولها تحت تأثير الفواعل المحيطة بها، فإذا قد ثبت أن الأنواع نشأت فجأة ولم تدخل

فى أدوار تدريجية طويلة . وعليه فقد أصبحت نظرية دارون فى الانتخاب الطبيعى ونظرية لا مارك فى تأثير البيئة لا أساس لها على الاطلاق .

ولقد يسر الله هذه المشاهدات العامة ، فجعل فى مقدور كل إنسان أن يراها ، فلا يبقى لديه ذرة من شك فى أن كل ما قيل قديما وحديثا فى تفسير حدوث الأنواع وتولد بعضها من بعض خيال فى خيال . فإن الحشرة بظهورها فى أول أدوار الخليقة ، وثبات أنواعها على ما هى عليه طوال تلك الأمد إلى اليوم ، تشهد بأن كل ما يقال عن التحولات الدائمة ، والتغيرات البطيئة المستمرة ، فى أدوار حياة الأحياء ، ليس من الحلق فى شئ . وهذه الحشرة ذاتها بمخالفتها هى نفسها فى حالتها النهائية للدودة التى كانت أصلا لها تشهد بأن العوامل التطويرية التى استند عليها لا مارك ودارون كلها أباطيل ليس لها نصيب من الواقع .

ولأجل فهم قيمة هذه الشهادة من العلم ، ومكانها من دحض جميع مذاهب النشوء التدريجى البطيئ ، نلفت نظر القارئ إلى حياة أبة حشرة ، ولتكن دودة القطن التى قد لا يوجد فى مصر من لم يرها ولو مصورة ، فإن هذه الحشرة تبتدى وجودها بحالة جنينية مشمولة فى بيضة صغيرة جدا ، فلما تخرج منها بعد استيفاء أيامها تكون على صورة دودة ، فتحسب وهى فى تلك الحالة للتغذى من الأوراق الخضراء التى تولد على سطحها فتسبب للقطن خسارة تقدر فى بلادنا بملايين الجنيهات . فلما تم هذا الدور من حياتها تنسج على نفسها تابوتا حريرا يسمى شرقة ، مستمدة خيوطه من سائل أوجده الخالق فيها يتجمد بمجرد ملاسته للهواء . هذا السائل مشمول فيها فى كيس يقبل التقبض بالإرادة ، ومتصل بالخارج بثقب صغير جدا . فإذا أرادت الحشرة أن تنسج تلك الشرقة على نفسها ضغطت ذلك الكيس فيخرج منه ذلك السائل على صورة خيوط دقيقة جدا تحف وقت خروجها ، فتنسج منه على نفسها تابوتا حريرا وتسده من جميع جهاته ، ثم تقيم فيه مدة ، وفى نهايتها تنقب ذلك التابوت من أحد طرفيه وتخرج منه على صورة

فراشة تطير من شجرة الى أخرى ، مخالفة في كل جزء من أجزائها للدودة التي كانت أصلا لها ، ولا تمت اليها بصلة في ناحية من نواحيها . فكيف يتم لها هذا التطور في مدى الأيام التي تقيمها داخل ذلك التابوت ؟

عنى العلماء بهذا الأمر جد العناية ، فشققوا شرقة لإحدى الديدان في أيام متوالية ، فرأوا أنها عند ما تدخل الى شرقتها يتبدى جسمها في الانحلال ، ولا يزال ينحل حتى يستحيل كله الى سائل لزج أكثر كثافة من الماء ، ثم يأخذ ذلك السائل في التكاثف والتشكل يسيرا يسيرا حتى ينقلب الى فراشة تامة الخلقة ، ذات عينين برأقتين وجناحين بديعين وجسد مخالف في كل أجزائه لجسد الدودة ، وأرجل دقيقة لم تكن لها ، فلا تلبث هذه الفراشة بعد تمام تطورها هذا أن تنقب شرقتها من أحد طرفيها وتخرج منها طائرة مرحة تتطلب التلذذ ، ثم تبيض على أوراق شجر القطن ، فتصادف بويضاتها على هيئة بصاق مخاطى على تلك الأوراق يسميها الفلاحون (باللطع) ، فإذا بقيت على حالتها ولم تُبدَ خرجت من كل بويضة منها دودة صغيرة تغتذى من تلك الورقة فلا تبقى منها ولا تذر .

لما وقف الباحثون في حياة الحيوانات على هذه الأطوار المتوالية ، والاستحالات العجيبة ، أدركوا أن كل ما يقال عن الانتخاب الطبيعي وفعل البيئة ، والعوامل المختلفة ، لاحقيقة له ، وأن الخليقة توجد وتتطور وتبلغ كما لها على نظام اختص الخالق الحكيم بعلمه وليس في قدرة العقل أن يصل اليه .

فانظر كيف أراد الله أن تكون الحشرة الحقيرة هي التي تسقط صروحا شاذخة من البحوث والمذاهب أقيمت لتفسير وجود الأنواع الحية وتسلسلها بعضها من بعض ، تلك المذاهب التي كانت سببا في تضليل من لا يحصى لهم عدد من خفاف العقول . فإن تعليل قيام الخليقة على هذا النحو من الترقى التدريجي قد جر ضعاف العقول الى عقيدة أن العالم مستغن عن مدبر ، فتمردوا على الأديان وعلى كل ما يثبت الروح من

المباحث العلمية، منتبذين ناحية خاصة بهم، توها منهم أنهم بما حصلوه من إدراك هذه الأسرار صاروا أمة وحدهم، فأصبحوا بعد هذا الاكتشاف العلمي وما سبقه من الاكتشافات الداحضة لمذاهب التطور، حيرى لا يعرفون لهم مذهبا يقومون عليه. ولعل قارئنا يسألني: ما وجه تأثير حياة الحشرات في دحض مذاهب النشوء والارتقاء؟ فنجيبه بأن وجهه أن هذه المذاهب تفترض أن الكائنات الحية قد تولد بعضها من بعض بتأثير البيئة كما يقول لامارك، أو بتأثير الانتخاب الطبيعي كما يقول دارون، في آماط طويلة لا يحصيها العد، فجاءت الحشرة فنقضت هذه الأقاويل المنمقة كلها بحالها الذي يمكن أن يراه كل أحد. ألا يراها تستحيل من دودة الى فراشة بعد أن ينحل جسدها الى سائل، فيفقد بذلك كل تركيب عضوي، ثم يعود فيستحيل الى فراشة ليس بينها وبين الدودة الأولى أى شبهة؟ كل ذلك في أيام معدودة، فاقيمة كل ما ذكره أصحاب مذاهب النشوء والارتقاء من التعليقات التي فتنت عقول كثير من الناس نحو قرن ونصف قرن من الزمان؟.

فاذا أردنا أن نطبق على الاستحالة التي دخلت فيها الحشرة مذهب لامارك أو دارون، لا نضطررنا أن نفترض لها عشرات الألوف من السنين على اعتبار أنها ممكنة في مذهبهم، فما ظنك وهي غير ممكنة في نظرهم، لأن الترقى لديهم إنما يكون بحدوث تحسينات في ذات الأعضاء الموجودة، وظهور أعضاء أخرى لم تكن موجودة من قبل، ولكن مع حفظ التناسب بين أصول تلك الأعضاء وما آلت إليه، أو ما زاد عليها من الأعضاء الجديدة. أما الاستحالات المنقطعة الصلات، والتطورات غير المتناسبة، كما هو بين الدودة والفراشة، فلا تنطبق على أصول مذاهب النشوء والارتقاء، وتعد في نظرها مستحيلة الحصول.

وبعد: فإن كل هذا الجهد من رجال العلم موجه لمعرفة سر قيام الخليقة وتفسير تولد

الأنواع النباتية والحيوانية، وهو مطلب مستحيل التحقق فيما نرى . ألم تر أن هؤلاء الرجال كلهم تخيلوا مذهبا من تلك المذاهب ، وتوهموا أنهم قد بالغوا في بيانه ودعمه على أصول من المحسوسات ، أنهم من تلك المحسوسات نفسها ما ينقضه ، ويجعل القول به مهزلة لا يصح ارتكابها ؟ فمسألة تأثير البيئة في تحويل الكائنات وهي التي ابتدعها الأستاذ لامارك الفرنسي في القرن الثامن عشر صادفت من الرواج حدا بعيدا جدا ، وصارت حديثا طريفا للناس يلوكة منهم كل عالم ومتعلم ، ويكتبه كل باحث وخابط ، حتى نبغ دارون فأذاع مذهبا نقض به نظرية تأثير البيئة نقضا ، وجعله من العوامل الثانوية في إكساب الأحياء صفات جديدة ، ورأينا نظرية الانتخاب الطبيعي قد أوتيت سلطانا على العقول لم يكن لنظرية قبلها ، فافتنت بها افتتاناً لم يعهد مثله لمذهب من المذاهب الفلسفية ، وطبقت هي والأسس التي صحبتها على كل المحاولات العقلية للناس ، فكنت ترى المشرع والمؤرخ والمتطبيب والأديب وغيرهم يستمدون من أصول مذهب دارون ما يظنون أنه يجعل لمباحثهم أصولا راسخة من صميم المباحث الفيزيولوجية والبيولوجية . ثم ما هي إلا جولة من جولات العلم حتى تكشف لهم أن هذا المذهب كسابقه لا يستند إلا على خيال محض ، وقد ظهرت دلائل محسوسة تجعل استمرار القول به ضربا من العبث ، ومتى تقدم الناس في فقه الكون تبين لهم أن هذه المذاهب التي كان لها السلطان المطلق على العقول في أزمانها تدل على عقليات ساذجة كانت لا بآتهم على نحو ما نحكم به نحن حين نقرأ مذاهب قدماء الماديين في خلق الكون وإيجاد كائناته . فسبحان الذي أعجزت آياته العقول ، وملاأت بعظمتها العيون والقلوب :

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) م

محمد فرير ومري

أزمة الزواج وعلى من تقع تبعاتها

قال الله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَاقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا فِيهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)، وقال جل شأنه: (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).

الزواج مبدأ تكوين الأسرة، ومدار استمرار العمران، وعليه التعويل في بقاء الكون ونمو الأمم. عون على نظام الحياة، باعث للهم إلى العمل، وسيلة لهدوء المعيشة وجعل الحياة سعيدة. وحسبك منه أنه قاطع لجرثومة الفساد في الأخلاق، وعون على صون الشرف والأعراض، وقاطع لدابر الشرور والخصومات، والعداوات بين الأسر والجماعات، بل هو فاتح للتواد والتحاب بين الناس أسراً وأفراداً. فكم من شخص كان فذاً في حياته لا نصير له ولا عضد، فكان بالمصاهرة عزيز الجانب، مخطوب المودة محفوظ الغيبة، كثيراً بالمصاهرة، عزيزاً بما استحدث من أسرة، وبمن انضم إليه من جماعة. وكم ترى من خامل النفس ميت العزيمة متراخي المهمة، قد اشتد بالزواج أزرد، وانبعثت من رقدتها همته، وتحركت نحو العمل عزيمته، وأصبح في الحياة عضواً عاملاً نشيطاً يسعى ويجد، ويعمل ويسكد، لأن الزواج أشعره بواجبات كان في غفلة عنها، وناط به مصالح كان لاصلة بينه وبينها، فتكسب أمته من نشاطه وحياته العملية أكثر مما تكسبه منه من أبناء وذرية. ولا تسئل عن حفظ المرء صحته بالزواج، سواء من جهة ابتعاده عن الخنا الذي يجر إلى شر الأعراض، ومتعاصي الأدوية، أم من جهة انتظامه في مدينته على الوجه الذي أعده، فيستكمل نظامه الحيوي الذي عليه مدار بقاء الفرد وبقاء النوع على وجه لا غبار عليه، ولا خوف منه ولا خطر فيه. فاذا ما رأى بعد

ذلك منزله وقد عمر بالأبناء والبنات ، ودبت فيه روح الحياة الجديدة ، فيصبح ويمسى يشاهد من نعم الله عليه ما يشرح صدره ، ويقر عينه ، ويدخل السرور الى قلبه ، ويزيل الهموم عن صدره ، ويبعث الحياة الجديدة في دمه ، سمت روحه وعات نفسه ، وأصبح شعوره قويا بمعنى الحياة وسموها ، وهنا يجد النشاط الى نفسه أقوم سبيل ، وينفتح فكره عن وسائل الترقية في الأعمال الخيرية لأُمته ، لا لشخص أُمته ، بل لأنه يرى في خدمته لأُمته الوسيلة الوحيدة لخدمة أُمته له ، وهل الرزق إلا قيم الأعمال التي يقدمها المرء للمجموع ، فيأخذ ثمنها من المجموع على حسب قيمة ما أدى إليه ؟

كل هذا إذا أضفت اليه السلامة من الطغيان ، ووساوس الشيطان ، ومعصية الرحمن ، والوقوع في الخسران ، وجدت الأمر أعلى من أن يتنازع فيه ، وأكبر من أن يستهان به ، فكيف وقد دعت اليه الطبيعة السليمة ، بل يكاد يكون مغروسا في بعض الفصائل الحيوانية بالفطرة .

إذا كان الأمر على هذا الوجه من الوضوح والخطورة ، فما لنا نرى أزمة الزواج قد استحكمت حلقاتها ، وشاع بين شبابنا — وبخاصة في المدن العاصرة — الأعراض عن الزواج ، بل التبرم به والتأفف منه لمن تزوج ، والفرار والخوف منه بالنسبة لمن لم يتزوج ؟ إنه لأمر عجب ، ولكن ما من حدث إلا وله سبب . وإننا نريد أن نعرض لشرح تلك الأسباب بحسب ما نستطيع ، وإن كانت أسباب ذلك من التنوع والتفرق والكثرة بحيث تشذ عن أراد الإحاطة بها . ولعلنا نوفق للإلمام بأهمها وأكثرها شيوعا وأعمها أثرا . ولنحصر الأسباب الآن في أربعة :

(١) انحطاط الآداب .

(٢) التغالى في المهور والإسراف في الجهاز .

(٣) تراخي المودة الزوجية بسبب إعنات النساء للأزواج في السرف والبذخ

وشقى المطالب .

(٤) التطلع لسعة الحياة المادية ومحاولة ضمان ذلك للذرية .

السبب الاول انحطاط الآداب ، ولعل ذلك أفهم الأسباب :

من القواعد الاجتماعية المطردة ولوع الأمم المغلوبة بمحاكاة الأمم المتفوقة في عاداتها ومقوماتها محيا كانت قبيحة أو مشوهة أو منكورة . وقد كانت أسباب وعوامل أدت الى أن تكون للأمم الغربية حضارة مادية قوية ذاقوا لذتها ، فعكفوا عليها وتوسعوا فيها ، جنوا منها ثمارا لا يستهان بها ، واستخرجوا من كنوز الأرض والقوى التي بثها الله في الكائنات ما شرح قوله تعالى : « خلق لكم ما في الأرض جميعا » شرحا باهرا ، فكانوا بحق أساتذة أهل العصر الحاضر في اجتناء الثمار المادية ، واستخدام الأسرار الكونية التي رفعت الحياة وسهلت كثيرا من مستصعباتها ، فبهرت الأمم لمادان لهم من هذه المستكشفات والمخترعات ، حتى نسوا ماجاء عن طريق الشرق من حضارة روحية ومدنية معنوية كن لها أعظم الأثر في سعادة البشر .

إن الحضارة نوعان ما في ذلك شك : حضارة روحية قوامها تصفية النفوس ، وتهذيب الأخلاق ، وبث الفضيلة ، ونشر التعاطف ، والتودد بين الناس ، والسمو بالنفس الإنسانية الى المستوى العظيم اللائق بها ، وهو إخلاص العبودية لله ، والتحرر عن الرق لكل ما سواه ، وتعديل مزاج قوتها الشهوية والغضبية ، حتى تسير على قانون العدل في كل شئونها ؛ ودفعها الى العلم والحكمة لتحيط بما به سعادتها في الدنيا والآخرة . وهذا النوع من الحضارة قد استأثر به الشرق ، مهبط الشرائع ، ومبعث الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام . والنوع الثاني الحضارة المادية وقوامها استنباط الأسرار التي بثها الله في المادة وهياها لنفع الانسان في هذه الحياة : من آتار البخار والكهرباء ، والآلات السريعة الأعمال ، والدقيقة الآثار ، وما يلتحق بها أو يتفرع عنها . وأستاذ هذا النوع في عهدنا الحاضر هو الأمم الغربية من غير منازعة ولا إنكار .

وإن السعادة الكاملة في هذه الحياة الدنيا ورغد العيش للنوع الإنساني مرتبط

بهذين السبيين بدون شك . ولكن أيهما أزم لهنا الحياة وسعادة المعيشة ؟ للجواب عن هذا يصح أن نتصور انفكك أحد السبيين عن الآخر ، فلنتصور الأم فقدت مظاهر تلك المدنية المستحدثة ، فلم تتمتع بالقطار السريع ، ولا بالضوء الكهربائي ولا بالطرب للحاكي (الفوتغراف) وحرمت تسجيل صورها بالمصور الشمسي (الفوتغراف) ولم يكن لديها من آلات الجراحة الدقيقة أو أجهزة الأشعة الكاشفة أو الوسائل المدمرة في الحروب الفاتكة في النفوس : من غازات خائفة ، ونسافات وطيارات ، وما يتصل بذلك . نتصورها حرمت ذلك كله ، ولكنها ساد بينها الوثام والمحبة والفناعة ، والثقة والتراحم والمعاونة ، سادها الإخلاص لله في العبادة ، ورضيت بميسور الرزق ، مع ترقية نفسها وأبنائها في الأخلاق والآداب . ثم نتصور الأم مرة أخرى قد أخذت بأكبر قسط من هذه الحضارة المادية والمستحدثات التي تمخض عنها هذا الزمان الحاضر ، ولكنها حرمت صفاء النفوس بين أفرادها ، وحرمت شيوع الأمانة في معاملتها ، واستفاد الكذب في مخاطبتها ، وغلبت شهواتها واسترسلت في أحكام غضبها ، ولم يردعها الخوف من ربها ، وكان الحكم فيها لقويها على ضعيفها ، ولم ينتصر لمظلومها من ظالمها ، فأى العهدين أحق بأن يكون عهد سعادة وحياة ناضرة ؟ إنا لا نشك في أن الكفتين غير متوازيتين ، وأن الأثرين غير متكافئين ، وأن الإنسانية قد استفادت من الشرق ما لا غنى لها عنه ، وقد أخذت من الغرب ما فتح عليها باب شر في الحياة لا منتهى لأمدده ولا وصول لحده ، فاندفع بالانغماس في شهواته والمسارة لرضا نفسه بشكل لا يبقى على الهناء .

وإن من عرف حياة المترفين المستغرقين في تتبع مشترياتهم ، يجدهم قد وصلوا إلى حالة ضاع معها الشعور بلذة ما كانوا ينعمون به ، والتمست أذواقهم طعوما أخرى أشد لذة مما هم فيه ، فإذا أعوزهم ذلك عادوا إلى بعض ما كانوا يأفنون منه كأنهم يحاولون تجديد

أذواق ماتت عندهم ، فإذا فاتهم ما يؤملون عادوا بحسرة وتغنيص . وخذ لذلك مثالا
بنى إسرائيل إذ سئمو المن والسلوى ، والنسوا البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل ،
تعرف حال أولئك المنغمسين ، فقد أصبحت الأطعمة الفاخرة والذائذ النادرة عندهم
مألوفة نافية ، بل مستومة ممولة كالمن والسلوى عند بنى إسرائيل . فما يظن لذة عندهم
ويتوهم أنهم به منعمون ، هم في الحقيقة به برمون ، ومنه متهملون .

هذا هو شأن الانغماس في المشتبهات والاستغراق في اللذائذ ، يصل بصاحبه
الى درجة أن يضعف الإحساس بها حتى يتلاشى وحتى يسأم ويميل . فإذا أضفت الى
ذلك أن هذا المنغمس يستولى عليه الضعف في عزيمته ، وتصبح همته واهنة واهية ،
كانت الخسارة فيه أشد والمصاب به أحم . ولقد قال بعضهم : الترف مرض اختياري
تجلبه النعم ويأخذه من يشاء . فإذا كان هذا قصارى الثمرة المستفادة من حضارة الغرب
تجدها قد آلت بنفسها الى أنها شر ونقمة ، بدل أن تكون خيرا ونعمة ، فكيف إذا ضمنت
اليها الحرمان من تلك الفضائل الروحية ، والمزايا النفسية ، والآداب الشرعية ، التي تهض
بالنفس الى المستوى الرفيع ، وتسمو بها الى أعلى عليين ، وتجذب أطراف الانسانية
بعضها الى بعض حتى تنظمها في سلك التواد والتراحم ، والتعاطف والتعاضد ، وتجعلها
كأعضاء الجسم الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحنى والسمهر .
لقد استطرد بنا الحديث حتى كدنا نبتعد عما سيق الكلام له ، وعذرنا أن المقارنة

بين الشرق والغرب وأيهما أعود على الانسانية بالخير والمنفعة مما خفى على الكثير حتى من
المفكرين والمتصدرين للزعامة والزعمين أنهم هداة قادة ، فقد اغتروا بتلك الآثار الخلابه ،
وأساموا عقولهم وأفكارهم لأصحابها ، ووقفوا جهودهم على تأييدها والدعاية الى التمسك
بأهدابها ، وتقليد أهلها حتى في أخس المنكرات وأحط الآداب ، وغفلوا عما يجره ذلك
عليهم وعلى أمتهم من الشر الوبيل . فمن ذلك تلك الدعاية الممقوتة التي استفاضت على السنة
الكثير من المفكرين ، وهى الدعاية الى السفور ونبذ الحجاب ، وتمييز اختلاط النساء

بالرجال والرجال بالنساء . لقد استعملوا كل قواهم وتعاقدوا من كل جانب لتلك الدعاية ، وترسوا فيها بأن السفور باب العلم والحجاب قفل ذلك الباب ، وأن الداعي للتمسك بالحجاب حائل بين الأمة وبين العلم النافع . ومن يستطيع أن يرى نفسه قد وقفت حائلا بين الأمة وبين العلم النافع ؟ ومن يقبل على نفسه لقب أنه عدو للعلم وهو ما نصب نفسه للإرشاد إلا بما أوتي من العلم ؟ كان ذلك التذرع بنشر العلم سلاحا حادا استعمل بهاء ومكر شديدين ، وساعد قوته ميل النفوس وبخاصة نفوس الناشئين الى فك العقال واطراح القيود ، والإيغال في بيداء الإطلاقات ، فاندفعت فئة ممن لا يبالون بمركز أدبي أو عادات متمكنة أو آداب صرعية ، فزجوا بأنفسهم في التجربة الأولى ، فلما لم يجدوا رادعا تبعتهم فئة أخرى ، ثم كان من المترفين جولة جريئة باسم المدنية التي هم رافعو لوائها ، فتبعهم من يحاول اللحاق بهم حتى انفرط العقد وأصبح السفور عادة غير منكورة . فهل وقف الأمر عند هذا الحد ، وقنع الشر بما اكتسب من فضيلة الأمة الراسخة ؟ : إذاً كان الخطب هينا ، وكنا نقول : بعض الشر أهون من بعض . ولكن ما العمل وبذرة الشر سريرة الإنبات ، والنفوس الشهوانية تربة صالحة للغراس ! لقد جر هذا الى إحراز الشباب أمنيته ، فقد تفتتح أمامه سبيل الشيطان ، وزين للناس باب آخر هو من السفور بآمن صلة ، ذلك هو الاختلاط في الأندية والمجالس والمحافل ثم الانفراد . أو الاجتماع الانفرادي — لا أدري بماذا أسميه — أقول ثم تأبط الشاب ذراع الفتاة والابتعاد به عن الرقباء والعيون ، يرتادون الخلاوات ، ويتجولون في المتنزهات ، ويعمدون في بعض الأحيان الى دور الملاهي والملاعب ، يتلقيان دروس الغرام ، ومناط الحب والهيام ، ودور القبلات وأصناف المعانقات ، والمغازلات والمغاضبات . كل أولئك دروس تجريء الهيبوب منهما على الاقتحام ، ثم ينصرفان لا ندري الى أى مأوى ، ولا يدري أهلها أين هما ، ولا يجروا أن يسألوهما . إنك ستنفّر من سماع هذا الكلام ،

وستنكر على الكاتب أن يسطر هذا على صفحات المجلة ، ولكنها حقيقة تجرى بين فئات ، ويخشى إذا استمر الحال أن يتسع خرقها ويتفاقم شرها .

وإذا كان مجرد ذكرها قد جر الى اشمئزاز القارىء الى هذا الحد ، فكيف يكون مجراها وفشوها . وهل التعامى عنها سيقبلع جذورها ؟ إذاً لكان الواجب السكوت عليها . ولكن فاض الكيل وعم السيل . هذا شيء موجود فى بلدنا ، وهو أصل كبير من أصول بليتها فيما نشكو منه من أزمة الزواج ، وهو الموضوع الذى عرضنا للكلام عنه وإن تطوحت بنا السبل وتشعبت علينا المسالك . فلقد كان من نتائج هذا فى المدن أمران : الأول الزهد فى النساء اللاتى كن يحتذبن بالبعد فأصبحن معروضات بالقرب . ولقد قال القائل :

عرضنا أنفسنا عزت علينا عليكم فاستخف بها الهوان
ولو أنا منعناها لعزت ولكن كل معروض مهان

والثانى إساءة الظن بهن وقياس الغائب على الشاهد ، فظالمت البريئات ولايزان يؤلفن الكثرة العظمى فى الأسر والله الحمد ، ولكن رب مستهترة جذبت سوء الظن على ألف مستترة ، فكان هذا السلاح ذا حدين خطرين ، أحدهما الإعراض عما سهل تناوله ، وثانيهما إساءة الظن بمن خفى أمره ، فأعرض الشباب عن الرغبة فى الزواج ، والتمس لنفسه من المعاذير ما إذا حاولت إرجاعه عنه كنت تضرب فى حديد بارد وإن أترجو القارىء عند وصوله الى هذه النقطة أن يسكت قليلا ، ويفكر فيما يحيط به من معارف وجيران ، ويستعرض ما يقع نظره عليه وما يسمعه من الأقواء ، ويستنبط من نفسه مدى هذا الموقف وخطورته ، ثم يستنجد بالحمية الاسلامية والخيرة الدينية والمصاحبة القومية لعله يتوفق الى طريق فيه إيقاف هذا السيل الجارف ، ولا أحد أصغر من أن يمين ، ولا أحداً أكبر من أن يعان ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه .

السبب الثاني التعالى في المهور والتنافس في الجهار :

هذا سبب له دخل في أزمة الزواج ولكن الى حد ما ، فقد يكون الراغب في الزواج صادق النية في تكوين أسرة وتعمير بيت ، ويريد أن يعيش عيشة صالحة ، ويرى ألا سبيل الى العيشة الصالحة إلا الزواج من زوجة صالحة ، فيدور بعينيه يمينا وشمالا يرتاد من يليق به مصاهرته من الأسر التي تناسبه ، فيجد نفسه بين أسرة كريمة ذات حسب وشرف وصيانة وأدب ، فيرغب في الاتصال بها ويعمد اليها لخطب مودتها ، فيجدها قد اعتدت بمركزها ، واعتزت بحسبها وأدبها وحياتها بين الأسر المستهترة ، وعفاها بين الفئات الخليفة وثروتها بين أقوام فقيرة ، وهكذا من المميزات الصحيحة المعتد بها ، والخطاب يؤمن على ذلك ويغتنب به ، ولكن يروعه المفاجأة بتقدير ثمن ذلك كله ، وإذا به مما ينوء بالعصبة أولى القوة ، فما بالك بالفرد الناشئ وهو على أبواب الحياة العملية ، فإذا ما تبرم واستعظمه قيل له : إنا سنستحضر كيت وكيت : الآثار والرياش وما يتعلق به ، فإذا قال : كل هذا لا حاجة لي به بل سيرهقني ويكافئني ما لا طاقة لي به ، قيل له : وهل تنقص عن كريمة فلان وزوجة فلان أو عن عمته أو أختها ؟ وهكذا فاما أن يقبل وهو مالا يستطيعه ، وإما أن ينصرف بنية أن يتروى وهو ما يكون غالبا ، وقاما يكون له بعد ذلك عودة . فإذا اتجهت نفسه الى من لا يغالي في المهر وجد من المنفرات في الآداب والعوائد مالا يحتمل ؛ فإذا ما استشار أحد أصدقائه للخروج من هذا المأزق وحل هذه العقدة ، كان أقرب جواب له : مالك وللزواج أما أنت عاقل ! ألم تر أ لم تسمع ! ويأخذ يقص عليه من أنباء الزيجات السيئة ما يحل عزيمته ويحول دفة اتجاهه ، وما يدريك فاعله يقيض له من قرناء السوء من يزين له أسوء الأعمال ، فيرتكس في شر الأوحال . ثم تبقى الخطوبة منتظرة مترقبة ، فربما طال عليها الأمد ، فلا ندري أتصبح عانسا ترضى بالقليل ، أم تسمى بأئسة من الجليل والخليل .

هَذَا سبب من الأسباب يساعد في كثير من الأحوال على تفانم ذلك الشر ، وإن كان أصله من عدم التبصر لا من نية السوء ، وهو وإن لم يصل الى ما قبله فله دخل لا يستهان به .

السبب الثالث :

إعانت الزوجات أزواجهن في باهظ المطالب من ملابس غالية الثمن لا يقصدها إلا التبرج عند الخروج من المنازل ، ومن أدوات التجميل التي قلما يكون للزوج نصيب منها ، ومن طموح الى ارتياد دور الملاحى على مختلف أنواعها أو المتنزهات العامة أو الخاصة . يضاف الى ذلك عند بعض الأقوام مضاريف حفلات استقبال أسبوعية أو شهرية بلا داع ولا مناسبة مما يرهق ويضيق الصدر ، فاذا ما تهاون الرجل في أداء تلك المطالب الفارغة ، ثار بينهما نزاع ينغص الحياة ، ويقبض الصدر ، ويجعل المعيشة تعيسة متعبة .

يجرى هذا للرجل فيشكوه لصديقه ، وهذا ينقله عنه متفكها متعجبا ، فيزيد الحديث بمسئلهات ترد على الألسنة حتى تعم دائرة الأصدقاء ، فتشوه الحياة الزوجية في نظر الجميع ، حتى يعد المقدم عليها مجازا فبهنائه وسعاده ، فتكون النتيجة تقوية فكرة الامتناع عن الزواج والحذر منه ، والخوف الشديد من الوقوع فيه .

السبب الرابع :

هو يقتصر على فئة يزعمون أنفسهم من المفكرين تفكيرا عميقا وبعيدا ، يرون أن الحياة قد كثرت مطالبها واشتد الزحام في نيلها ، فلا يأمن إذا ما تزوج أن يعقب أبناء وبنات يعرضهم ويعرضهن لهذا المعترك القاسى ، وليس لديه من التراث ما يكفى لترفيههم ، فيكون بذلك قد قسا عليهم وزج بهم فيما لا قبل لهم به ، وكأنه يتمثل بقول المعرى متبرما بالحياة ومتاعبها :

هَذَا جَنَاهُ أَبَى عَلِّى وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ

بل إنه شبيه بمن وجه إليه النهى في قوله تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » فأمثال هؤلاء قد انعكست بصائرهم وعميت عليهم الطرق ، وظنوا أن دولاب الزمان في أيدي العباد ، وأن تقديرهم وتديرهم هو الذي يحول اتجاه الفلك ويقدر الأرزاق والأعمار . فلبئس ما سولت لهم أنفسهم وما أوقعتهم عمياتهم وجهالتهم ! فمثل هؤلاء لا يعتمد بأفكارهم وإن كانوا يزعمون أنهم فوق مستوى الناس في أفكارهم . ومن محاسن الصدف أن هؤلاء قليلون ، وعدواهم مأمونة ، وأفكارهم قاصرة عليهم . والذي يعنيننا هو الأسباب الثلاثة الأولى ، فلعل شرحها وتبيانها يلفت أولى النظر السليم إلى تلافيه والخلاص منه ، والله يتولى هدايتنا إلى سواء السبيل .

ابراهيم الجبالي

فضيلة العقل ورذيلة الحمق

وصف بعض الأدباء العاقل والأحمق فقال :

العاقل إذا والى بذل في المودة نصره ، وإذا عادى رفع عن الظلم قدره ، فيسعد مواليه بعقله ، ويعتصم بمعاديه بعدله ، إن أحسن إلى أحد ترك المطالبة بالشكر ، وإن أساء إليه مسىء سبب له أسباب العذر ، أو منحه الصفح والعفو .

والأحمق ضال مضل ، إن أونس تكبر ، وإن أوحش تكدر ، وإن استنطق تخلف ، وإن ترك تكلف ، مجالسته مهنة ، ومعاتبته محنة ، ومجاورته تعر ، وموالاته تضر ، ومقاربتة عمى ، ومقارنته شقا . وكانت ملوك الفرس إذا غضبت على عاقل حبسته مع جاهل ، والأحمق يسىء إلى غيره ويظن أنه قد أحسن إليه فيطالبه بالشكر ، ويحسن إليه فيظن أنه قد أساء فيطالبه بالوتر (أى بالتأثر) ، فساوىء الأحمق لا تنقضى ، وعيوبه لا تنتهى ، ولا يقف النظر منها إلى غاية إلا لوحث ما وراءها مما هو أدنى منها ، وأردى وأمر وأدهى . فما أكثر العبر لمن نظر ، وأنفعها لمن اعتبر !

وقال الأحنف : كل شيء يحفظ الأحمق إلا من نفسه .

العلاقة بين المخ والذكاء

عرف الناس من أقدم الأزمان أن المخ آلة التعقل كما أن العين آلة الإبصار ، فجب اليهم البحث فيه ، ولكن هذا البحث ما كان يتعدى الدائرة الفلاسفية النظرية . فلما تقدم علم التشريح في العصور الأخيرة كان أول ما عني به الباحثون في المخ أن يعرفوا علائق أجزائه المختلفة بالقوى العقلية : من الفكر ، والذكر ، والتصور ، والحفظ ، والتخيل الخ ، فحيل اليهم أنهم اهتمدوا الى تلك المراكز ، فأكثروا من الكتابة فيها لإحكام ربط التعقل بالمخ ، فكان ذلك عند الماديين من الأدلة على أن التعقل ليس بمظهر من مظاهر الروح ، ولكنه خاصة من خصائص التركيب المخي ، حتى قال زعيمهم (بوخر) : إن المخ يفرز التعقل كما تفرز الكلية البول .

ونحن في هذه العجالة نريد أن نجمل القول في سرد مذاهبهم القديمة والحديثة في علاقة المخ بالتعقل ، ثم نردفها بما ثبت أخيراً من المشاهدات الجديدة في المجال التشريحي نفسه ، مما يهدم نظريات الماديين هدماً لا قيام لها بعده ، ويثبت أن التعقل مظهر من مظاهر الروح بأدلة لا تقبل النقض .

فإليك هذه الخلاصة الإجمالية مترجمة عن الألمانية من مجلة (كوسموس) :
« كان الناس يرون منذ القدم أن لكمية المنخ في الكائنات الحية علاقة كبيرة
بإدراكها، وليس هذا بصحيح ، فان مقدار المنخ في بعض الحيتان قد يربو على خمسة كيلو
غرامات ، ومقداره في النملة لا يتعدى جزءا من خمسة وعشرين ألف جزء من الغرام ،
ولا يقول أحد بأن الحوت أذكى من النملة بما يبلغ مائة وخمسة وعشرين مليون ضعف .
فاذا اتخذنا معيارا آخر فجعلنا المقارنة بين الكائنات الحية من ناحية نسبة وزن مخها
الى وزن بدنهما كاملا ، فان هذه المقارنة تكون أقرب الى تعيين علاقة المنخ بالتعقل .
ففي مملكة النمل ما يدل على صحة هذا الرأي . وفي هذا المجال نجد الانسان قد

حل محله في التفوق على جميع الكائنات ، فإذا اعتبرنا الانسان والغوريلا و كلب لبون برجر وغيرها مما تتساوى أوزان أجسادها ، رأينا أن مخ الانسان وهو أذكى الكائنات كافة بزن نحو ١٤٠٠ غرام ، على حين أن مخ الغوريلا لا يزيد وزنه عن ٤٥٠ غراما ، ومخ كلب لبون برجر لا يبلغ أكثر من ١٢٥ غراما .

« وقد شوهد أنه لا عبرة بمقدار المخ إذا كان تركيبه ساذجا ، كما هو شأنه عند الحيوانات القليلة الذكاء . واتضح أنه كلما كان تركيبه دقيقا كان ذكاء صاحبه أكبر . » وقد رأى المعنيون بأمر هذا البحث بأن القشرة الخارجية من المخ هي مركز القوى العقلية ، وأنها تزداد اتساعا كلما زادت الأحياء ارتقاء . ولما كان حجم الجمجمة محدودا فإن زيادة سطح القشرة الخفية يحدث من كثرة التجمعات التي تمتد كتلة المخ . وقد شوهد أن هذه التجمعات تختلف قلة وكثرة باختلاف الحيوانات في قوة الذكاء . قال الأستاذ الدكتور فنسمر كاتب هذه المقالة عقب هذا كله :

« على أن كل هذه الملاحظات لا تصلح أن تكون قانونا يمكن تطبيقه في جميع الأحوال ، فإن أكبر مخ عرف حتى الآن كان لرجل أبله ، وإن بعض المفكرين الذين ارتفعوا الى درجة الزعامة في مختلف العلوم والآداب كانت حجوم مخاخهم دون المتوسط ، والعلاقة التي توجد بين مقدار المخ ودرجة الذكاء ما زالت تحت كسف من الظلام ، يحيط بها الجهل من كل مكان . فلا تصاح الوسائل التي نملكها الآن للتمييز بين مخ رجل عبقري وآخر من العامة الباهاء . فالتنقع اليوم بما وفقنا اليه من العلم بأن مقدار المخ والأحوال الأخرى التي ذكرناها آنفا تساعدنا من وجه عام على معرفة درجة الذكاء ، ولكن لا يمكن الاعتماد عليها أصلا للقياس والمقارنة في جميع الحالات الفردية . والرجاء معقود على أن تكشف لنا في يوم من الأيام أسرار العلاقات الموجودة بين القوى العقلية وتركيب المخ » انتهى .

ونحن نقول : إن هذه الحيرة التي بدأت تلوح في أفق العلم من هذه الناحية التي كان

يظن الفيزيولوجيون أنهم بلغوا فيها المدى ، هذه الحيرة ليست كل ما في هذا الباب ، فقد طرأت حوادث في أثناء الحرب العالمية وبعدها كان لها تأثير لا يقف عند حد في تعديل آراء العلماء في مسألة المخ وعلاقته بالقوى العقلية . ونحن نأتى على بعض تلك المشاهدات من كتاب الأستاذ الدكتور جوستاف جوليه ، فإليك ما قاله فيه :

شوهدت أحوال تشريحية مرضية أثبتت أن حرمان إنسان من جزء عظيم من المخ في المناطق التي كان يعتقد أنها رئيسية فيه ، قد لا يبتنى عليه أقل تكدر نفساني ولا أقل انحطاط في الشخصية .

فإليك ملخص أشهر هذه الحالات مستقاة من كتاب التاريخ السنوى للعلوم النفسية الذى صدر فى يناير من سنة ١٩١٧ :

قدم المسيو إدمون ييريه للمجمع العلمى الفرنسى بجلسته المنعقدة فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٣ ملاحظة للدكتور (ر . روبنسون) تتعلق برجل بقى حيا سنة ، وبغير ألم يذكر ولا أى اضطراب عقلى ظاهر ، على حين أن مخه كان قد استحال الى مثل العجين ، واختلطت أجزاؤه حتى تحول كله الى دمل ذى قيح .

وقد رفع الدكتور هالوبو الى جمعية الجراحة بفرنسا فى يوليو سنة ١٩١٤ تقريراً عن عملية جراحية أجريت فى مستشفى نيكير على شابة وقعت من المترو . فعند فحصها شوهد أن جزءاً عظيماً من المادة المخية قد استحال الى مثل العجين بكل ما يحتمله هذا اللفظ من معان . فاما حذفت هذه المواد المتحللة وسحبت قطع القيح العالقة بما بقى من مادة المخ ، شفيت المريضة وعادت الى ما كانت عليه من الصحة ، ولم يؤثر بتر جزء عظيم من المخ فى سلامة عقلاها ، وكما شخصيتها ، وقد كان ذلك يعتبر محالاً فى نظر العلم قبل اليوم .

وإليك ما نشرته الجرائد البارزية عند ذكرها خبر انعقاد المجمع العلمى الفرنساوى فى ٢٤ مارس سنة ١٩١٧ تحت عنوان : (بتر جزء من المخ) قالت :

قدم الدكتور أ. جيبان (guépin) الى المجمع العلمى حوادث يمد بها مسألة بتر بعض المخ بمعلومات جديدة متابعاً بذلك تقاريره السابقة من هذا النوع الذى ينقض الآراء التى كانت تدرس عن وظائف المخ . وقد ذكر فيها أن الجندى الذى عملت له العملية فى مخه ووضع تحت العلاج قد خرج من المستشفى معافى ، وهو يزاول الآن وظيفة إستاتى بقرب باريز رغم أن الجزء الكبير الذى بتر من القسم الأيسر من مخه . وقد استمر بعد أن تمت له العملية يستعيد صحته فى حالة طبيعية محضة كأن لم يتر من ذلك العضو الرئيسى شىء ، مع أنه قد أزيلت منه فيما أزيل الدائرة التى تعتبر مركزاً لوظائفه الرئيسية ، فاعتماداً على هذه المشاهدة وعلى تسع مشاهدات من نوعها قدمت للمجمع العلمى ، استطاع الدكتور جيبان أن يستنتج النتائج الآتية :

أولاً — أن بتر جزء من المخ قد ينجى حياة بعض المجرّوحين الذين لا تسلم نظريات العلوم المعروفة للآن بإمكان نجاحهم من الموت أو سلامتهم من عاهة مستديمة غير قابلة للشفاء .

ثانياً — أن الذين تعمل لهم عملية البتر لا يشكون من أى نقص حيوى بسبب فقدانهم جزءاً من مخهم .

وقد خطب الدكتور (أجوستان أيتوريشا) رئيس الجمعية الانثروبولوجية أى الخاصة بالمباحث الانسانية فى جلسة ٧ أغسطس سنة ١٩١٦ المنعقدة بمدينة (سوكر) عاصمة بوليفيا بأمرىكا الجنوبية ، فقال :

« إليكم مشاهدات أكثر إدهاشاً للعقل مما مر اقتطعتها من سجل عيادة الدكتور نيقولا أورتيث بواسطة الدكتور دومنجو جوزمان :

« أولها تتعلق بغلام فى السنة الثانية عشرة أو الرابعة عشرة من عمره رفع مخه كله فبقى طول المدة التى عاشها بعد هذه العملية حاصلاً على جميع خصائصه العقلية .
« وثانيها تختص برجل فى الخامسة والأربعين من عمره أصيب بجرح فى مخه

في مستوى دائرة بروكا مصحوب بكسر في عظم الجمجمة . فبالكشف عليه اتضح أن حرارته مرتفعة ، وأنه قد نسي الكلام وأصيب بالشلل في النصف الأيمن من جسمه ، فشرع الأطباء في معالجته ، وأخذوا يلقنونه الكلمات من جديد ، وكان هو يتابعهم فيما يلقنونه ، وبينما هم يعتنون به إذ فجأة نهض من مرضه أودت بحياته . فلما شرحت جثته وجد أن النصف الأيسر من مخه قد استحال إلى دمل ضخيم . فهنا يمكننا أيضا أن نتساءل كيف كان يفكر هذا الرجل ؟ وأي عضو كان يستخدمه في التعقل بعد فساد المنطقة المخية التي يقول الفيزيولوجيون إنها محل الإدراك ؟ .

« ثالثة الحوادث صاحبها فلاح عمره ثمانى عشرة سنة ، مرض مدة ثم مات ، فدل تشریح جثته على أنه كان بمخه ثلاثة دما مل يبلغ كل منها حجم اليوسفية . ولكن شوهد رغما عن هذه الدما مل أنه كان يفكر كما يفكر جميع الناس ، حتى إنه طلب ذات يوم أن يسمح له بوقت يقضيه في بعض مصالحه ، فسمح له به ومات وهو عائد إلى المستشفى .

بعد إيراد هذه المشاهدات قال الدكتور أجوستان رئيس جمعية المباحث الانسانية : « إذاً فلا توجد مراكز خاصة في المخ بعضها لإدراك المعقولات ، وبعضها للانفعالات ، وغيرها للذكر ، وأخرى للتصور ، فهذه الميتولوجيا (أى الأساطير الخرافية) قد زالت من الوجود » .

ونحن نقول : اذا كانت عقيدة أن المخ وحده مصدر التعقل والتفكير والتصوير الخ قد اعتبرت اليوم من الأساطير الخرافية ، فقد سقطت عقيدة من أكبر عقائد الماديين ، وهى التى مؤداها أن ليس للانسان روح هى مصدر كل هذه الخصائص العقلية ، وإنما مصدرها المخ وحده ، فجاءت هذه المباحث مثبتة أن المخ ليس هو مصدر التعقل والتفكير ، وإنما مصدرهما الروح ، وهى تستخدم فيهما المخ .

وقد ضرب المذهب المادى فى التعقل ضربات قاتلة أخرى من ناحية حياة الحشرات ،

فقد أثبت العلماء ، وفي مقدمتهم الأستاذ هكسلى كبير البولوجيين (علماء الحياة) أن أبسط أنواع الحيوانات وهو (الأُميب) المركب من مادة حيوية لم تدخل بعد فى شكل خلايا ، يأتى أعمالا محيرة للعقل ، حتى إنه ليبتنى لنفسه قوقعة جميلة الشكل ومزينة بألوان يأوى إليها ، فإن جرينا على قول الماديين من أن إلهامات الحيوانات نشأت من عقولها فهذا النوع من الحيوان لا يخ له ولا أعصاب ، فمن أين أتاه العقل وقد حير عمله العلماء ؟ وإذا كان مايقوله الماديون فى ربط التعقل بالماخ صحيحا ، فكيف نشأت هذه الإلهامات المحيرة للعقل لحيوانات دنيئة لا يتصور أنها تدرك نما تعمله شيئا ؟ وقد رأيت مما نشرناه عن أعمالها هنا أنها لم تزل ماعمله أسلافها ولا تعيش بعد إلقاء بيضها حتى ترى ما يحتاج إليه أخلافها ، فإذا كانت هذه الحيوانات — وأنواعها لا تكاد تحصى — تصدر فى أعمالها هذه عن عقل ، وجب أن يكون هذا العقل أرقى من العقل الإنسانى ، إذ أنه يجعل الحشرة تدرك بدون تعليم ما لم تره بعينها ، وتحسب له وللعوارض المحيطة به حسابا دقيقا ، وهذا مالا يمكن أن يقول به عاقل ، فلم يبق إلا القول بأن الخالق الحكيم هو الذى يطبعها على هذه الأعمال فتأثيرها مضطرة لا خيرة لها فيها ، ويكون هذا من أدل الأدلة على وجوده سبحانه وتعالى ، وعلى شمول حكمته ورعايته جميع الكائنات ، لا يشذ عنها حتى التى لا يدركها إلا إنسان بغير المجهر .

ولقد فتنت مسألة ارتباط التعقل بالماخ هذه عقول كثير من المتعلمين ، وجروا فيها على مذهب الماديين ، فاعتبروا الماخ مولدا للتعقل لا آلة له ، وإذا صح هذا فلا محل فى زعمهم للاعتقاد بوجود روح للانسان ، ويسقط بسقوطها كل ما يختص بها من عالم روحانى وخلود ونعيم وعذاب مقيمين ، ويتلاشى بتلاشى هذه الأمور الناموس الأخلاقى نفسه ، وتحل محله إلا باحة البهيمية . فجاءت هذه المكتشفات التشريحية التى ذكرناها مزيلة لشبهة الماديين ، ومعززة لأدلة وجود الروح تأييدا لم يكن منتظرا .

إن وظيفة العلماء أن يبحثوا وينقبوا مستمدين من الله الهداية والنور ، وليس عليهم أن يتخيلوا الخيالات ثم يتخذوها شبهات يضللون بها بسطاء العقول ، ويصرفونهم عن سواء السبيل .
محمد فريد وجدي

من معدن النبوة

عن ابن عباس رضى الله عنه قال :

سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « أيها الناس بسط الأمل مقدم على حلول الأجل ، والمعاد مضمار العمل ، فغضب بما احتجب به غاكم ، ومستئس لما فاته من عمل نادم .
« أيها الناس إن الطمع فقر ، والياس غنى ، والقناعة راحة ، والعزلة عبادة ، والعمل كثر ، والدنيا معدن ، وما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء ، وكل الى نفاق وشيك ، وزوال قريب ، فبادروا أتم في مهل الأتقاس ، ومدة الاجلاس ، قبل أن يؤخذ بالكظم ، فلا يغنى الندم » انتهى .

نقول : إن هذا الكلام لا تغنى قراءته عن حفظه ، ولا حفظه عن العمل به ، فهو تفتحة من روح النبوة يتلقاها من كتبت له السعادة ، ويودعها سويدا قلبه ، وصميم معناه ، ويأخذ نفسه على اتباعها ، رجاء أن يصل الى ما يتطلبه من السعادة الصحيحة . أليس الطمع فى الحقيقة فقرا ، والياس عما فى أيدي الناس أو فيما لا ينال غنى ، والقناعة بما حصل فى يده بالاجمال فى الطلب غنى ؟ أو ليست العزلة عن أهل الغفلة عبادة ، والعمل لما ينفع كثر ، والدنيا معدنا يستخرج منه باحسان العمل فيها ما ينفعه غدا ؟ أو ليس كل ما بقي منها بعد حصول المرء على هذه الصفات العليا يشبه ما مضى منها من الفانيات كما يشبه الماء الماء ؟ أليس كل طيباتها الى زوال لا يبقى منها إلا ما يجنيه صاحبها فى تصيدها من إثم أو عدوان يبقى عليه وزره ، وتحقيق به تبعاته ؟ وليس معنى هذا أن يعف الانسان عن الطيبات المشروعة التى بينها الكتاب وأيدتها السنة ، وإنما المراد ما سفل منها ولا يناسب كرامة الانسانية .

خطبة

افتتاح العام الدراسي

تفضل حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد المجيد اللبان شيخ
كلية أصول الدين فأرسل إلينا الخطبة التي ألقاها لمناسبة افتتاح العام الدراسي
للكلية ، فتأخرت عن موعدنا لتراحم المواد ، فنستدرك ذلك بنشرها اليوم
لما حوته من الحكم النوالي والنصح الثمين . قال فضيلته :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي منّ على من أخلص بنعمة التوفيق ، فسلّك به سبيل الرشاد ، وفتح له
باب الفيض . والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير داع الى الله ، أنقذ العالم من وهدة
الحريرة وظلمة الجهالة ، الى سماء العلم ونور الهداية . وعلى آله وصحبه الذين نهجوا منهجه ،
وتأدبوا بأدبه .

أبهرنا الاضواءه :

بعد تحية الاسلام ، لي الشرف أن أعان لحضراتكم أنه قد مر العام الدراسي الثاني
لهذه الكلية على خير ما يرجوه محبو الإصلاح ، وأنه ترك عندي من الغبطة والارتياح
فوق ما تركه سابقه ، فقد رسم لحضراتكم في نفسي من أثر الفضيلة صورة الاِعجاب
والاِكبار . وناهيك بمعنى تتكون صورته من اخلال الآتية : صدق النية في العمل ،
وقبول النصيح فيه ، والوفاء بالعهد ، والمودة الخالصة .

أما صدق النية ، فلأني قد رأيت منكم الحب الصادق ، والرغبة في تثقيف الطالبة على
قواعد الدين والعلم الصحيح ، اللذين هما حليفان لا يتنافران في نظر الانصاف والعقل السليم .

وأما قبول النصيح ، فله عندى من الشواهد ما يحمانى على الاعتراف بأنكم من أسلس العاملين المخلصين .

وأما وفاء العهد ، فحسبكم منه القيام بما قطعتم على أنفسكم من جد ونشاط فى إتمام دراسة ما هو مقرر عليكم ، مع الحرص على الزمن ، وصرف الجهود فى تحقيق المواد بوجه ينطبق على مصلحتى العلم والطلاب ، الأمر الذى كانت معه النتيجة النهائية بدرجة سارة منطبقة على ما بذلتم من همة .

وأما المودة الخالصة ، فلا أدل عليها من اتصالكم القوى فى مظاهر أعمالكم العامة والخاصة .

ولقد كان من ثمرات هذا أن وجدت منكم قدوة حسنة فى نفوس تلاميذكم ، تأسوا بها فاساروا سيرتكم ، وأصبحوا بفضل أدبكم أمثلة كاملة لطلاب العلم المجدين ، وصار من الممكن أن نرفع الصوت عاليا بأنه يجب أن يحى من النفوس ما نقشه فيها أهل الأهواء من أن الأزهري غير قابل للإصلاح ، وأن أهله لا يعرفون إلا الجود . فإن تولوا فليقولوا لنا ما هو الإصلاح الذى يقصدونه بعد ما وصل طلاب الأزهري الى هذا الحد من الثقافة بسائر العلوم قديمها وحديثها ، وما هى المرونة ، والعلم الصحيح خير مهذب وأعظم هاد ، وقد أخذ منه الأزهريون والحمد لله بقسط لا يمكن لغيرهم أن يدعى مثله ؟ وإن شاءوا فلندع أبناءنا وأبناءهم ثم نتجأكم الى الحجة والبرهان . نحن لا ندعى لأنفسنا السكال المطلق ، فليس فى إمكان أحد من البشر أن يدعيه ، وما زلنا نطلب من العلم درجة أعلى . كيف والله تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم : (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) ويقول : (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) وإنما نقول للمتقولين : إن من الظلم رى البرىء ، ومن الغبن أن يبخص الناس أشياءهم .

ونقول لحضراتكم : يجب ألا يمر هذا دون أن نتخذ لنا منه عبرة ومسلكا للتفام مع المخالفين . فعلينا أن نتقارب . ولا سبيل الى التقارب إلا بحسن النية . واعلموا

أن جل التبعة ملقى على عاتقنا . فنحن الدعاة . ومن واجب الداعي الى الحق أن يستخلص النفوس اليه بالرفق في دعوته الحكيمة على مبادئ التآخي الاسلامي .

لهذا أطلب اليكم أن تسلكوا هذا الطريق ، فتجتمعوا قلوب الناس عليكم وتخطبواهم على قدر عقولهم عملاً بالحكمة النبوية الشريفة : (نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نخطب الناس على قدر عقولهم) .

هناك حملة قوية ضد الإسلام من أعدائه . ولا يمكن رد غائلها إلا بجمع كلمة المسلمين ، وحمل العامة منهم على حب الدين . فاعملوا لهذا المبدأ ، واجتهدوا للسلم متوكلين على الله بآرائكم ، فما غلب المخلصون في زمن ما ، بل كانت عاقبتهم النصر والثبات . ولتكن نصرته الحق قبلتكم ، حتى لا يكون لغيره سلطان على نفوسكم ، ولا يجد الباطل دليلاً على عملكم ، واستقيموا على الهدى حيث أقامكم الله ، وضاعفوا العناية في العام المقبل ، فإنه خاتمة الدور الأول لعملكم ، وفيه تظهر نتيجه النهائية ، فعساها تكون سارة إن شاء الله ، كما يرجو المصاحون الذين يودون الخير لدينهم ، وكما هي رغبة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم ، الذي ما برح يشمل العلم برعايته ، ويكلاً أهل الدين بمطفه ، والذي شرف الأزهر لافتتاح كليته بتلك الزيارة الميمونة التي يعدها التاريخ من أكبر آثاره الجليلة في حوادث العام الماضي . فعسى أن نوفق لرضا الله تعالى ، وتحقيق رغبته السامية .

نسأله تعالى أن يديم جلالته حصناً للإسلام ، ممتعاً بتمام الصحة وعزة الملك ، وأن يحفظ له أئجاله الكرام ، لا سيما حضرة صاحب السمو الملكي ولي عهد المملكة المصرية

عبد المجيد اللبان

المحبوب « الامير فاروق »

الى الذين لا يؤمنون بالغيب

من الناس من يتخيلون أن مظهر استقلال الرأى وحرية التفكير إنما هو في جحود الانسان كل ما لا يقع تحت حسه ، ولو صح ما يقولونه لوجب أن ينكروا كثيرا من الحقائق العلمية التي لا يمارى فيها إلا الجاهلون . فالى هؤلاء نسوق القول ، فنعرب لهم بعض ما قاله العالم الفلكى المشهور كاميل فلامريون في كتابه (الموت وغامضته) قال : «الإنسانية تعيش في جهالة بعيدة الغور وهي لا تدرى أن تركيبنا الجثمانى الطبيعى لا يعرفنا بمحقيقة الواقع من الحوادث الوجودية ، فإن حواسنا نخدعنا عنها ، والتحليل العالمى وحده هو الذى يؤتى عقولنا عنها ببصيص من النور .

«من أمثلة ذلك أننا لا نشعر بشيء من الحركات الهائلة للكوكب الذى نعيش عليه ، فإنه يظهر لنا ساكنا ذا أوضاع محدودة بالنسبة الى فوق وتحت ويمنة ويسرة الخ ، ومع هذا فإنه يسبح فى الفضاء بسرعة ١٠٧٠٠٠ كيلو متر فى الساعة فى تطوافه السنوى حول الشمس ، وهي نفسها تنتقل فى خلال اللانهاية السماوية بحيث إن خط سير الأرض لهذا السبب لا يكون خطا منحنيا مقفلاقط ، ولكن حلزونيا مفتوحا دائما . وإن كرتنا الهائلة على وجهها فى الفضاء لم تمر من نقطة واحدة دفعتين منذ وجدت الى اليوم .

« وفى الوقت نفسه تدور هذه الكرة على نفسها دورة فى كل أربع وعشرين ساعة ، بحيث إن ما نسميه (فوق) فى ساعة من الساعات يكون (تحت) بعد اثنتى عشرة ساعة . وإننا نجرى فى هذه الحركة النهارية بمعدل ٣٠٥ أمتار فى الثانية فى خط عرض باريز ، و ٤٦٥ مترا فى خط الاستواء .

« هذا وكوكبنا الأرضى تلعب به أربع عشرة حركة مختلفة ، فلا نشعر بواحدة

منها حتى التي تمسنا من قرب، كالمذ والجزر للقشرة الأرضية، وهى ظاهرة طبيعية ترتفع معها القشرة الأرضية دفعتين فى اليوم تحت أرجلنا الى علو ٣٠ سنتيمترا، ولا توجد أية علامة ثابتة تجعلنا نلاحظ هذا الأمر مباشرة. ولولا وجود الشواطىء لما أدركنا وجود المذ والجزر فى الأقيانوس كذلك.

« وهل نشعر بالهواء الذى نستنشقه أو ندرك له ثقلا؟ إن سطح جسم الانسان يحمل منه ما وزنه ١٦٠٠٠ كيلو غرام معادلا بمثابة من الضغط الداخلى، وما كان أحد يتخيل أن الهواء ثقيل قبل (غاليليه) (وباسكال) (وتورسلى) هذا ما يشهدنا إياه العلم، ولكن الطبيعة لا تشعرنا به.

« وهذا الهواء مخترق بتيارات مختلفة نجعلها كل الجهل. فالكهرباء تلعب فيه دورا لا ينقطع، ولكننا لا نشعر بها إلا وقت الأعاصير، أى وقت اختلال التوازن بشدة. « والشمس تبعث لنا على وجه الدوام بإشعاعات مغناطيسية تؤثر عن بعد ١٥٠ مليون كيلو متر على الإبرة الممغنطة مما لا تشعر به مشاعرنا، ولكن توجد أجساد حساسة لطيفة تشعر بوجود هذه التيارات.

« وأعيننا لا تدرك ما نسميه نورا إلا بواسطة ذبذبات الأثير المحصورة بين ٣٨٠ ترليون ذبذبة فى الثانية لونها أحمر متطرف، وبين ٧٦٠ ترليون ذبذبة لونها بنفسجى متطرف، والذبذبات البطيئة للأشعة الحرارية الحمراء المعتمدة فيما دون ٣٨٠ ترليون موجودة، وعاملة فى الطبيعة كما تعمل الذبذبات السريعة فيما فوق ٧٦٠ ترليون ذبذبة للأشعة الحرارية البنفسجية المعتمدة، ومع ذلك فهى غير مرئية لشبكية أعيننا.

« وأذنا لا تدرك ما نسميه (أصواتا) إلا ابتداء من الذبذبة الثانية والثلاثين من الأثير فى الثانية للأصوات التى نسميها شديدة حتى تصل الى ٣٦٠٠٠ ذبذبة فى الثانية للنفثات الحادة.

« وأتفنا لا يشعر بما نسميه (روائح) إلا عن قرب شديد، وفي عدد محصور منها فقط، ويختلف شم الحيوانات عن شم الإنسان .

« وغير هذا فإن الواقع أنه لا يوجد في الطبيعة خارج حواسنا لا نور ولا صوت ولا رائحة . فنحن الذين وضعنا هذه الكلمات لنعبر عما نحسه من تأثيراتنا، فالنور شكل من أشكال الحركة كالحرارة، ويوجد في الفضاء في وسط الليل من النور بقدر ما يوجد منه في وقت الظهيرة . أعني بهذا أنه توجد فيهما أعداد متساوية من الذبذبات الأثيرية تخترق هذه اللانهاية السماوية، ولكننا لا نتأثر بها، فلا نراها لعدم انعكاسها علينا . والصوت شكل آخر من أشكال الحركة، وليس هو بذى جلبة إلا بالنسبة لعصبنا السمعي . والروائح تحدث من جزئيات سابحة في الهواء تؤثر على عصبنا الشمي .

« فهذا مبلغ ما تصل إليه قدرة حواسنا الثلاث التي تصلنا بالعالم الخارجى .
« وأما الحاستان الأخريان : الذوق واللمس، فلا تتأثران إلا باللماسة . وهذا شيء قليل، وهو في كل الأحوال لا يؤاثرنا بشيء من العلم بحقيقة الواقع، فإنه يوجد حولنا من الذبذبات والحركات الأثيرية أو الهوائية، ومن القوى والأشياء غير المرئية ما لا نراه ولا نحس به . هذه حقيقة عامة مطلقة، وبديهة عقلية لا يمكن النزاع فيها .
« فيمكن أن يوجد حولنا أشياء بل كائنات حية لا ترى ولا تلمس ولا تستطيع حواسنا أن تصلنا بها

« فإذا تقرر وثبت بالدليل أن أعضاءنا الإدراكية لا تكشف لنا كل ما هو موجود، وأنها قد تعطينا إدراكات كاذبة أو ضالة عن الكون المحيط بنا (لا تنس حركات الأرض وثقل الهواء والأشعاعات والكهرباء والمغناطيس) قلنا إذا تقرر ما ذكرناه فلسنا نكون على شيء من التثبت إن ظننا أن ما نراه هو كل الحقيقة، بل نحن مضطرون للتسليم بضد ذلك .

« قلنا إن كائنات حية يجوز أن تكون موجودة حولنا ، فمن الذى كان يحلم بوجود الميكروبات قبل اكتشافها ؟ فها هى تتكاثر حولنا بالمليارات ، والدور الذى تلعبه فى حياة جميع الأجسام من الخطورة بمكان .

« فالمظاهر لا تكشف لنا الواقع ، ولا يوجد إلا حقيقة واحدة نستطيع تقديرها مباشرة هى فكرنا ، والموجود الذى لا يمكن النزاع فيه فى الإنسان هو عقله .

ونحن نقول : ضع هذا الكلام الصادر من صميم العلم أمامك ، ثم تأمل فى أقوال الحمقى الذين يتوهمون أنهم نالوا الدرجات العلى من الثقافة لمجرد قولهم : نحن إنما نتبع ما تقدمه لنا الطبيعة ، فلا نعتقد إلا بما نحس بوجوده بإحدى مشاعرنا . وإذا صح لهم ما يدعون كان عليهم أن ينكروا غالب مقررات العلوم الطبيعية التى يشيدون بذكرها ، ويفخرون بالانتماء إليها . فإين هم من هذه الموجودات التى ثبت وجودها لأهل العلم ولا يمكن الاهتداء إليها بحاسة من الحواس الخمس ؟

إن ما ظهر الى الآن من حوادث الكون لا يمكن أن يقارن بما خفى منها « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » ، وفيما ثبت وجوده اليوم بالدلائل القاطعة ما لا يمكن رؤيته مطلقا ، لقصور حواسنا عن التأثير به ، وقد اهتدى اليه العلماء اتفاقا ، فكتشف أكبر القوى العالمية وهى الكهرباء التى نتمتع اليوم بآثارها فى أهم مرافقنا ، لم يوفق الى اكتشافها إلا عرضا وبغير قصد . وذلك أن أحد مساعدى العالم (جالفانى) الإيطالى المتوفى سنة (١٧٩٨) شاهد اضطرابا فى عضلات ضفدعة قتلت حديثا ، فأخبر بذلك أستاذه ، فأتى بضفادع وقتلها ثم علقها على قضبان من النحاس ، فشاهد حدوث اضطرابات فى أعضائها كلها مست بقطع من الحديد ، فكان ذلك سببا فى اكتشافه الكهرباء الكائنة فى الأجساد . فلما نبغ العالم الطبيعى (فولتا) مواطنه المتوفى سنة (١٨٢٩) تابع أبحاث أستاذه فى الكهرباء ، فتوصل الى اكتشاف العمود الكهربائى الذى أمكن به توليد القوة الكهربائية واستخدامها فى المنافع الإنسانية على الوجه المشاهد اليوم .

أعلمت كيف قابل الناس مباحث الأستاذ جالفانى فى العصر الذى كان يعيش فيه ؟
قابلوها بالاستهزاء والسخر وسموه بسبب تجاربه فى الضفادع بمرقص الضفادع .
فكان جوابه لهم أن قال : « اسخروا منى ما شئتم فهذا لا يمنع أنى على وشك اكتشاف
أكبر القوى الطبيعية » .

ولو أصر الإنسان على القول بأنه لا يسلم إلا بما يرى لظل الى اليوم يقول بأن
الشمس هى التى تدور حول الأرض ، فانه يرى ذلك رأى العين ، والواقع أن الأرض
هى التى تدور حول الشمس . فانظر الى أى حد يخطئ الحس فى تقدير أكبر الحركات
المرئية وأشيعها ؟ وإذا صدق هذا فى المرئيات أفلا يكون أولى أن يصدق فيما دونها
من الحقائق الكونية ؟

قبل أن يكتشف العلم ظاهرة الانكسار فى الأشعة الضوئية عندما تمر
فى مناطق مختلفة الكثافة ، كان الناس يعتقدون أنهم متى رأوا قرن الشمس بارزا من
الأفق ، حكموا حكما قاطعا بأنها قد ظهرت لنا ، والحقيقة أننا نرى الشمس قبل أن
تبرز من وراء حجابها بسبب انكسار أشعتها فى الهواء وهى تخترق طبقاته المحيطة
بالأرض ، فان شعاعها لهذه العلة يصل الى أبصارنا قبل أن تبرز الشمس للعيان بدقائق
معدودة .

وظاهرة الانكسار الشعاعى هذه نستطيع أن نثبتها لكل إنسان بتجربة بسيطة ،
وذلك بأن يضع ملعقة فى كوب مملوء بالماء ، فيرى أن الملعقة التى عهده بها مستقيمة قد
ظهرت معوجة . والسبب فى ذلك هو ما ذكرناه من أن الأشعة التى برزت من أجزائها
المغموسة فى الماء قد كابدت انكسارا بدخولها فى الهواء لاختلاف كثافتيهما ، فتظهر
اللعقة معوجة على خلاف حقيقتها .

ثم إن حواسنا هذه التى نعول على أحكامها كل التعويل تضللنا فى أكثر ما تصلنا
به من المحسوسات . ففوة الإبصار ، وهى أكبر القوى التى نعتد عليها ، ترينا الشمس

وهي أكبر من الأرض بنحو مليون وأربعمائة ألف مرة ، قرصا صغيرا سابحا في الفضاء ، وترينا النجوم التي تفوق حجم الشمس ملايين المرات نقطا لامعة ، وتظهرها ثابتة مستقرة ، وهي تقطع الفضاء بسرعة ألوف الكيلومترات في الثانية الواحدة .

هذا في وقت صحة هذه الحواس وسلامتها من الأعراض ، أما متى انتابها بعض الأمراض فإن تضليلاتها لنا لا تقف عند حد ، فترى العين إذ ذاك الألوان على غير حقيقتها ، وتترأى لها أدخنة متكاثفة ، وسماوير محومة أشباه الذباب تحجب عنها المرئيات ، وترى بروقا لامعة وسهاما نارية متطائرة ، ولا يوجد في الواقع شيء من ذلك ، وتسمع الأذن دويا لا يطاق هولا كأن آلة بخارية في حالة ثوران قد سلطت عليها ، ولا يوجد في الواقع أثر من ذاك كله . فإذا شكا اللصاب به لمن حوله فقد لا يصدقه من لم يكن قد أصيب بمثله . وقد يحسب الفهم المريض أن الماء العذب ، بل الشراب المتناهي في الحلاوة قد مزج بالعلقم المر . وقس على ذلك بقية الحواس في ضروب الأعراض المرضية .

فهذه الحواس لا يجوز أن يوثق بها ثقة عمياء ، ولا أن يوقف مع إحساسها بالأشياء دون أن تعدل بحكم العقل وحقائق العلم . ولست أقول كم في الغيب من حقيقة ، ولكني أقول إن الحقائق الكبرى كلها محجوبة عنا ، وإن هذه الحواس الخس التي تشترك معنا فيها العجاوات لا توصلنا إليها إلا بنور من العقل وعلى بصيرة من العلم . وهذا هو الذي جرى عليه الإنسان وسيجرى عليه إلى أن يبلغ ما قدر له من كمال .

محمد فريد وجرى

بعض خصال المؤمن

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ثلاث خصال من كن فيه فقد استكمل الايمان : من اذا رضى لم يدخله رضاه في باطل ، واذا غضب لم يخرجه غضبه من حق ، واذا قدر عفا .

كيف انتشر الاسلام

- ٢ -

دخوله في أوروبا وآسيا

تابع في هذا العدد ما سبق لنا نشره من هذا البحث مترجما عن الألمانية
من كتاب « الاسلام » للمستشرق الألماني الاستاذ الدكتور مارتن
مارتمان ، قال :

« بدأ الاسلام بظهوره عند البلغاريين المستوطنين حوض نهر الفولجا من أوروبا
حوالى سنة ٩٠٠ ميلادية ، حيث اجتاحت المغول جميع أنحاء بلادهم الى أن عمّت فتوحاتهم
(فى عهد « باطو » وهو حفيد جنكيز خان) الأقليم الواسع فيما بين نهر سير داريا
وبحيرة آرال وبحر قزوين وبلاد القوقاز ونهر « دنيبير » .

« ودخل من ملوك الطائفة الذهبية كثير فى الاسلام ، فقويت بهم شوكته ، وزاد
سلطانه ، خصوصا أن أحدهم « بركه خان » كانت تربطه وسلطين الممالك بمصر
روابط ودية .

« وقد انتشرت تعاليم الاسلام فى أنحاء سيبيريا وساعد على انتشارها تنقل
التجار القادمين من بلاد ما وراء النهر وغسان فى هذه الأنحاء ، وقد نجحت الدعوة
الى هذا الدين الى حد بعيد فى منطقة « بارابا » .

« وأما فى أوروبا فكان المسلمون نزلاء ذوى مصالح ، إذا استثنينا اسبانيا وصقلية
فى العصور الوسطى .

« وأما فى إفريقيا فابتدأ الاسلام بالظهور فى مصر حيث امتدت الفتوحات
الاسلامية حتى غمت السواحل الغربية ، ثم امتد جنوبا بمحاذاة نهر النيل حتى وصل قلب
القارة الإفريقية . وجاء الاسلام الى بلاد السودان من نواح متعددة من الغرب ، ومن

الشمال الغربى من الجزائر وتونس وطرابلس، ومن صعيد مصر، ومن السودان. انتشر الاسلام فى جوف القارة الآفئة الذكر الى أن وصل الى المحيط الهندى، فدانث له جميع القرى فيما بين كونا كرى ولاجوس فى ينجيريا، وإن كان لم يذهب الى أبعد من ذلك كثيرا فى الجنوب الغربى. وأما القبائل العديدة من المسلمين الموجودين فى مستعمرة الكاب فيرجع عهد إسلامها الى أيام السيادة الهولاندية.

« وأما شرق القارة فكثيرا ما غزاه العرب والفرس من جهة البحر، وأسسوا الجاليات الإسلامية من مدينة « موجد يشو » حتى مدينة « كلوه » ومنها انتشر الإسلام حتى عم جزائر الزنجبار المجاورة، وكان معظم المهاجرين يفتدون الى هذه النواحي من اليمن ومن عمان. ولم تقتصر الفتوحات الإسلامية من جهة الشرق على هذه النواحي فحسب، بل إنها كثيرا ما تغلغت داخل القارة. وكان من مزايا دخول الإسلام وانتشاره فى هذه الأقاليم المظامة أن تحسنت الزراعة، وأمنت التجارة، ونظمت طرق النقل، وخرج الأهليون من ظلمات الجهالة الى نور المعرفة، فتعاملوا القراءة والكتابة. ومن آثار الإسلام الخالدة محاربة المسكرات، والقضاء على أعمال القسوة ضد الإنسان والحيوان، وأكل لحوم البشر، وقتل الأطفال والكهول والمرضى، بعد أن كانت هذه الرذائل متفشية مثل الوباء الخبيث بين الأهالى الوثنيين.

أمر الإسلام بالمعروف والشفقة والمحبة بين عباد الله، وحث على الصدقة والزكاة ومساعدة المحتاج وإغاثة الملهوف، فكل هذه الأمور وغيرها من الفرائض الدينية جعلت الأهالى من الوجهة الخلقية والاجتماعية فى مصاف غيرهم من البشر، إذ أخرجتهم من عالم الوحشية الى عالم الإنسانية المسؤولة. وقد عودهم الإسلام النظافة والنظام.

« ولما كان علماء الدين ورافعوا لواء الإسلام النازحون الى هذه النواحي من العمال المهرة والمزارعين النشيطين والتجار ذوى الكفايات فيهم، تقدمت الحياة الاقتصادية من النواحي المختلفة ».

نقول : إن ما ذكره الأستاذ (مارتن هارتمان) من أن الإسلام نقل الذين أخذوا به من حضيض الوحشية الى حالة راقية من الحياة الاجتماعية ، هو ما اعترف به للإسلام جميع الذين شهدوا آثاره على الشعوب الإفريقية والآسيوية المنحطة من القسيسين والمبشرين أنفسهم ، فقد أجمعوا على أنه متى مد رواقه على قبيلة وثنية نقلها فجأة من الدركة الساقطة التي كانت عليها ، الى درجة من النظام والرقى تباين بها جميع القبائل المحيطة بها ، ومكنها من السيادة عليها .

والسر في هذا التطور السريع في نظرنا ونظر كل من يعرف الإسلام يرجع الى أصوله الكريمة ، وتعاليمه السديدة . فان أول ما يتقاضاه من الذي يريد الدخول فيه أن يظهر قلبه من أدران الشرك ، وأن يسقط من مخيلته تلك الأهام والضلالات الوثنية التي ورثها عن أسلافه ودان لها بغير روية ، وأن يعترف لله تعالى بالوحدانية ، ولنبهه محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة العامة ، وأن يقوم بجميع أركان الإسلام وتعاليمه ، وهي في الحقيقة ظهور للنفس تجتث منها جميع ماركته الأديان الباطلة عليها مما يناق العقل ، ويضلل الفكر ، ويكدر صفاء الروح . فتتشط الفطرة الانسانية من عقابها ، وتفتك ملكاتها السامية من ربطها ، فتدفع الانسان بقواها الذاتية الى تغيير موقفه في الحياة ، وتمديد وجهته في سلوك جادتها ، وتعين له مثلاً أعلى ، وتحنه على بلوغه . ويظهر أثر ذلك كله في مجموع القبيلة ، فيرى الخارجون عنها انقلاباً طرأ عليها يوشك أن يتأدى بها الى غايات من الرقى بعيدة .

ولا غرابة في هذا كله فإن الإسلام يوجب على أهله الإقلاع عن كل ما يفسد كيان الانسانية من الصفات الحيوانية ، كتماعى المسكرات والمقامرة والفسق ، وقتل الأولاد وإهمال تربيتهن ، واحتقار النساء والشيوخ والضعفاء ، وارتكاب الخسائس والدنايا من جميع الضروب ، ويحث على مكارم الأخلاق ، وعلى طلب الأحسن والأجمل من كل شيء ، وعلى تحرى الحق والصدق في المعاملات ، وعلى تطالب العلم والحكمة وإكبار

أهلهم ، وعلى استصلاح المعيشة بالوسائل المشروعة ، والترفع عن الظنون والأوهام ،
ومجانبة أهل البطالة والعصيان ، والإقبال على الله بالقلب ، منزلها إياه عن النقائص
ومشابهة المخلوقين ، وعدم تناول ما يعلو طور العقل بالتأويلات والتخيلات الخ .

فهذه الصفات كلها التي هي من أوليات الاسلام تحدث في الشخصية الانسانية تطورا
بعيد المدى لا تقف آثاره عند حد . وهو الذي شهد به جميع دعاة الأديان في إفريقيا وآسيا
ونشروه في مؤلفاتهم ونشرياتهم الدورية ، وأثر عن هذا الدين في كل دور من أدواره .
وليس هذا رأى الدعاة وحدهم ، فقد أصبح يقول به رجال عظام من أهل العلم
مثل (برنارد شو) الفيلسوف الانجليزى ، وقد نشرنا رأيه في مقالة خاصة في هذا
العدد ، فإنه يرى أن أوروبا ستضططر أن تأخذ بالاسلام في نحو قرنين من الزمان ،
لتستشفى به من أدوائها الاجتماعية التي كادت تودى بمدنيته . فهذه الآراء ليست ملقاة
جزافا ، ولكنها ثمرة تفكير طويل ، وروية متزنة . وهى من مثل برنارد شو أوقع
في النفس ، وأفعل في الجماعات ، فان الرجل يشتغل بالبحث في الشؤون النفسية
والأمور الاجتماعية ، فهو خبير بأدواء الأخلاق ودوائها ، وبطب النفوس وعلاجها .
وإن هذه الحقائق التي بدأت تتجلى في حلة من علم القرن العشرين سيرن صداها
في أرجاء العالم ، وستعم شعوبه قاطبة في وقت قريب ، وإذ ذاك تكتسب الدعوة الى
الاسلام قوة على قوتها ، فيصبح انتشاره بين الأمم الغربية أمرا لا مرد له ، والله
غالب على أمره .

فضيلة الاستشارة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : المشورة حصن من الندامة ، وأمان من الملامة .
وقال عمر بن عبد العزيز : إن المشورة والمناظرة بابا رحمة ، ومفتاحا بركة ، لا يضل معها
رأى ، ولا يفقد معها حزم .

عجائب المخلوقات

عادة الاسترقاق عند النمل

كان الناس يظنون أن الاسترقاق عادة بشرية محضة، ليس في العالم الحيواني ما يشبهها، ولكن علماء الحيوان أنبتوا أن عادة الاسترقاق موجودة في النمل قبل أن يوجد الإنسان على الأرض بآمد طويلة .

وذلك أن بعض أجناس النمل ألهمت أن تقوم على نظام اجتماعي مقرر . وقد قسمت جماعتهم الى قسمين : العملة والمحاربين ، فالأولون أصغر أجسادا وأقل قوة من المحاربين الذين قد وكل إليهم مكافحة الأعداء والدفاع عن الخوذة .

من الأجناس التي تمارس الاسترقاق ، النمل المسمى روفسنا ، وآخر يسمى روبا وغيرهما . وهو يعمد الى الاسترقاق باختطاف أبناء النمل الأسود ، فيشن لذلك عليها من الغارات ما لا يكاد يتصور . فقد نقل الأستاذ هور وكروبي وسبنسر ولورد افبري وغيرهم أنهم شاهدوا هذه المعارك ورأوا أن النمل ينقل قتلاده وجرحاه من ميدان القتال في أثناء حصوله ، أمكنة هادئة وراء صفوف المحاربين .

أما ما تستحوذ عليه هذه الأجناس من نابتة العدو فتكلفتها بجميع ضروب الخدم ، فتراها تستغل طوال نهارها في جمع الذخيرة وتربية الصغار . ولا شيء أعجب من مشاهدة هذا الرقيق من النمل يؤدي عمله بكل أمانة وصدق .

ولما تولد نملة لا تسدي ساداتها ، تراهم يساعدونها في التخلص من قشرتها ، وقد يكون هذا العمل شاقا فيجتمع له عدة أرقاء ليتساعدوا على القيام به .

قد يفترط بعض أجناس هذا النمل في الاعتماد على أرقائهم فيصيح في غاية الكسل إذ يترك جميع الأعمال ليقوم بها أسراه ، ويبالغ في الاعتماد عليها الى حد أنه يكسل عن المشي ، فيكاف الأرقاء أن تحمله على ظهورها ، كما هو حال النمل المسمى (بوليير جوس روفيسنس) .